الإمام الكوثري

المولود سنة 1296 هـ – و المتوفى سنة 1371 هـ

بقلم الفقير إلى الله تعالى

أحمد خيري

المولود سنة 1324 هـ – المتوفى سنة 1387 هـ

الإهداء

إلى الذين يكلمون في سبيل الله فلا يتكلمون – و يتألمون فلا يتململون – و يذبون عن شرع طه و لا يتذبذبون –

أهدي هذه السيرة للعظة و الذكرى – إنصافا للمروءة و الدين، و إرضاء للحق و اليقين.

تحريرا بروضة خيري باشا – يوم الخميس

خامس المحرم سنة 1372 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحكيم العليم القائل: [إنما يخشى الله من عباده العلماء] (فاطر: 28)، **و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملك الأرض و السماء، و أشهد أن سيدنا محمدا عبده و رسوله، خاتم الرسل و سيد الأنبياء، اللهم صل و سلم و بارك عليه و على آله و صحبه أهل الصفاء و الوفاء صلاة و سلاما يكونان لنا في هول المحشر نعم الأمل و الرجاء.**

و بعد: فهذه سيرة رجل له علي من الفضل ما لا يحصر إذ أفدت من علمه و تجاربه و نصحه المثمر و كان في ذلك عزوفا عن الدنيا أبيا عن أن أعوضه شيئا من دنياي المادية مقابل ما نلته منه لصلاح دنياي الروحية من علمية و دينية، حريصا على أن يكون كل ما يمنحه من علومه خالصا لوجه الله تعالى لا يرجو فيه الجزاء إلا من ربه الأعلى و لسوف يرضى.

و مما لا شك فيه أن الإسلام رزئ رزءا فادحا و أن الأحناف نكبوا نكبة واضحة بوفاة إمام العصر، و شيخ علماء مصر التقي النقي – اللوذعي الألمعي – الأديب الأريب – الشاعر الثائر – الموحد المؤرخ – الفقيه الجدلي المحقق – و المحدث المفصل المدقق – مولانا حجة الله الأستاذ محمد زاهدي أفندي[1] الكوثري المنتقل إلى رحمة الله تعالى بعد عصر يوم الأحد 19 من ذي القعدة سنة 1371 إحدى و سبعين عن خمس و سبعين سنة و دون الشهر.

و قد قسمت هذه السيرة إلى ثمانية فصول:

---

[1] **أفندي كلمة تركية معناها السيد، و كانت تطلق على أفراد البيت المالك العثماني، و على كبار العلماء – و لا تزال في مصر تستعمل كلمة أفندم، و معناها (سيدي) – في مجال الأدب و التكريم.**

الفصل الأول: في سرد تاريخ حياته من المولد إلى الوفاة.

الفصل الثاني: ذكر أهم الأحداث في حياته على ترتيبها الزمني.

الفصل الثالث: وصفه وصفا دقيقا.

الفصل الرابع: قصيدتي فيه و هي 75 بيتا مع شرحها.

الفصل الخامس: في بيان مؤلفاته و تقدماته و تعاليقه و مقالاته.

الفصل السادس: في أمور خاصة بينه و بيني.

الفصل السابع: بيان بعض شيوخه و بعض مأثور كلامه من منظوم و منثور.

الفصل الثامن: تلامذته مرتبة أسماء من تعيه الذاكرة منهم على حروف المعجم.

و ليس من عادتي أن أكيل المدح جزافا كما أني أطبع هذه الترجمة و لا يزال عارفو الرجل و الناهلون من فضله أحياء يرزقون – و لذلك أقرر أن كل ما سيرد في هذه الترجمة هو دون حقيقة فضائل الرجل و مناقبه – و مهما يتوهم الجاهل أو الحاسد فيها من الغلو و المبالغة فإن العارف المنصف سيرى فيها قصورا و تقصيرا.

الفصل الأول

في سرد تاريخ حياته من المولد إلى الوفاة

هو محمد زاهد بن الحسن الحلمي المتوفى في دوزجه يوم الأربعاء ثاني عشر ربيع الآخر سنة 1345 عن خمس و سبعين سنة، و كان انتقل إليها من قريته سنة 1303 و هو ابن علي الرضا المتوفى بموضع قرية الحاج حسن قبل بنائها و عقب وصولهم مهاجرين من القوقاس سنة 1280 و هو ابن نجم الدين خضوع المتوفى بالقوقاس في حدود سنة 1245 و هو ابن باي المتوفى بالقوقاس حوالي سنة 1220 و هو ابن قنيت المتوفى بالقوقاس في حدود سنة 1180 و هو ابن قانص المتوفى بالقوقاس حوالي سنة 1140 و ينحدر من أصل جركسي من فخذ يعرف جدهم باسم كوثر، و من هنا كانت النسبة، و يرجح أن يكون بين قانص و كوثر نحو سبعة آباء.

ولد يوم الثلاثاء 27 أو 28 من شوال سنة 1296 ست و تسعين مع أذان الفجر في قرية الحاج حسن أفندي[2] و تلقى مبادئ العلوم من شيوخ دوزجة و غادرها سنة 1311 للآستانة و نزل عند وصوله في مدرسة دار الحديث التي بناها قاضي العسكر حسن أفندي المتوفى سنة 1044 حيث كان ينزل عمه موسى الكاظم[3] و طلب العلم في جامع الفتح على الشيخ إبراهيم حقي الأبيني إلى أن توفي سنة 1318 فتمم على الشيخ علي زين العابدين الألصوني سنة 1336 إلى أن تخرج عليه سنة 1322.

---

[2] هي قرية أنشأها والد المترجم فعرفت باسمه (حاج حسن قريسي) و تقع قبلى قضاء دوزجة بنحو ثلاثة أميال و شرق الآستانة بنحو خمس مراحل.

[3] هو موسى الكاظم الكوثري السيروزي المتوفى سنة 1353 في أطة بازار بالأناضول بين الآستاة و دوزجة عن حوالي تسعين سنة.

و كان الامتحان للعالمية في ذلك الوقت يجرى مرة كل خمس سنوات و تصدر به إرادة سلطانية، و كان امتحان المترجم سنة 1325 بلجنة رئيسها وكيل الدرس أحمد عاصم المتوفى سنة 1339 – و أعضاؤها محمد أسعد الأخسخوي الذي ولي مشيخة الإسلام فيما بعد و مصطفى بن عظم الداغستاني المتوفى سنة 1336 و إسماعيل زهدي الطوسيوي المتوفى سنة 1327[4] و له مشايخ غير هؤلاء ذكر أغلبهم و ترجم لبعضهم في ثبته المسمى (التحرير و التنوير).

و لما نال إجازته العلمية سنة 1325 اشتغل بالتدريس في جامع الفتح إلى أوائل الحرب العظمى الماضية التي بدأت في سنة 1332 و لما كان ممن قاوموا التغير الذي أراد أن يقوم به الاتحاديون القائمون بالحكومة العثمانية وقتئذ ذلك التغير الذي أرادوا به القضاء على العلوم الدينية تحت ستار الإصلاح[5] فقد أصبح عرضة لاضطهادهم.

و تفصيل الأمر أن النظام القديم كان يقضي بأن الطلبة يختارون شيخا يحضرون عليه العلوم جميعها من مبدئها إلى غايتها لمدة خمس عشرة سنة فأراد أصحاب النظام الجديد إدخال العلوم الحديثية الغربية و تخصيص المدرسين بأن يدرس كل منهم ما يختار له من العلوم لعدة فصول و جعلوا مدة الدراسة ثماني سنين و عقدوا لذلك مجمعا و كان شيخنا من أعضائه فرأى في ذلك قضاء على الدين لقصر مدة الدراسة و كثرة العلوم خصوصا و أن الطلبة أتراك و العلوم الدينية تستلزم دراسة اللغة العربية، فما زال يحتال و يمكر حتى جعل مدة الدراسة اثنتي عشرة سنة غير البدء بسنتين تحضيريتين، و بعد ذلك ثلاث سنوات للتخصص فأصبحت المدة سبع عشرة سنة و ذلك بمعاونة بعض الصلحاء من أعضاء اللجنة مما أثار حفيظة صنائع الاتحاديين من أعضاء اللجنة فسعوا في عزل شيخ الإسلام في

---

[4] انظر من 36 من ثبت المترجم (التحرير الوجيز) و قد ولي كل من الآخرين مصطفى و إسماعيل رتبة قضاء العسكر و هي المعروفة بصادرة الروملي التي هي أرقى الرتب العلمية و يعرف أصحابها بالصدور العظام و منهم كان يختار شيخ الإسلام عادة فيما سلف من تلك الأيام.

[5] و الإصلاح دائما هو الدعوى التي يلجأ إليها الملاحدة إذا أرادوا محاربة الدين الذي يرونه مانعا لهم من بلوغ مآربهم الفاسدة.

ذلك المعهد محمد أسعد بن النعمان الأخسخوي و تعيين خيري أفندي الأركوبي الذي كان على بغضه للقديم و صرامته ذا ورِع و دين إلى حد ما فلم ينل الاتحاديون مشتهاهم و صدر قانون الإصلاح محققا لرغبات المجمع و هادما لشهوات المتطرفين فلما شمرت الحرب عن ساقها و كان شيخنا اختير له علوم البلاغة و الوضع و العروض و التدريس في معاهد نظامية يوميا ما عدا يوم الجمعة، أشار عليه بعض أصدقائه من الاتحاديين بأن وجوده في الآستانة أثناء الحرب قد يجعله عرضة لبعض الاضطهاد فقال: إنه يود القيام بافتتاح المعهد الفرعي الذي أنشأته الحكومة في قسطموني بوسط الأناضول فصدر الأمر بنقله حيث بقي هناك ثلاث سنوات استقال عقبها و عاد إلى الآستانة.

و مما حدث له قبل ذهابه إلى قسطموني أن الجامعة أرادت تعيين أحد أساتذتها لتدريس الفقه و تاريخه فتنافس في ذلك الأساتذة الاتحاديون فرأت الإدارة عقد امتحان و أخبره بالنبأ أحد زملائه فقدم طلب الخول في الامتحان آخر يوم و أصبح فأدى الامتحان و كان الأول في النجاح، و لكن الاتحاديين غاظهم هذا الأمر، فقام أحد كبار نوابهم و كان زميلا للشيخ في التدريس بالفاتح و اسمه فاضل عارف المتوفى سنة **1341** و طلب من وكيل[6] المعارف المدعو محمد شكري بك أن يوقف تبليغ موافقته للجامعة ففعل – فلما علم الشيخ بذلك زاره و قال له و الآخر يعجب من زيارة خصمه: علمت من الصحف نبأ تعييني و لما كنت زميلي في التدريس و من ذوي الجاه الآن فلا بد أن ذلك كان بمساعدتك – و اضطر عارف إلى مجاراة الشيخ و قبول شكره و تناسى معاكسته السالفة.

و لما رأى الاتحاديون أنه لا مناص من تعيين خصمهم اكتفوا بانتداب أحد الأساتذة لهذه الوظيفة و لم يعينوا فيها أحدا حتى لا يتعرضوا للنقد بتعيين أحد أعوانهم و تخطي الناجح الأول – و حتى يتفادوا تعيين عدوهم في وظيفة جديدة ذات مرتب حسن.

---

[6] أي الوزير و كانت تطلق عليه كلمة الوكيل وقتئذ باعتبار أن كل وزير نائب عن السلطان في وزارته فهو في حكم وكيله.

و عاد الشيخ من قسطموني إلى الآستانة، و في طريقه غرق في أقششهر و تفصيل ذلك في الفصل الثاني، و كان وصوله إلى الآستانة عقب الهدنة مباشرة فعين في دار الشفقة الإسلامية و هي مدرسة ليلية كبيرة تحت إشراف جمعية خاصة.

و ساعده نجاحه في الامتحان السابق الذكر على أن يلي تدريس التخصص مع صغر سنه بالنسبة إلى زملائه في تدريس التخصص و ذلك بعد نحو شهر من اشتغاله بدار الشفقة الإسلامية – و استمر في ذلك حتى انتخب عضوا في مجلس وكالة الدرس نائبا عن معهد التخصص و بعد ذلك عين وكيلا للدرس و رئيسا للمجلس المذكور[7] إلى أن عزل و استمر بعد عزله عضوا بمجلس وكالة الدرس لأنه لما عين رئيسا لم يعين بدله في العضوية فلما عزل عن الرياسة بقي في العضوية و التدريس إلى أن غادر الآستانة[8] قاصدا مصر على الباخرة العباسية من بواخر شركة البوستة الخديوية فوصل الإسكندرية يوم الأحد 13 من ربيع الآخر سنة 1341 الموافق 3 ديسمبر سنة 1922 م و نزل بالقبارى أياما ثم انتقل إلى شبرا و سكن منزلا بجوار قسم شبرا أشهرا ثم سكن بمصر الجديدة لمدة أشهر أيضا ثم عاد إلى الإسكندرية و منها رحل رحلته الأولى إلى الشام قبل انقضاء عام على يوم وصوله من الآستانة فسافر بالبحر من الإسكندرية إلى بيروت و منها بالسكة الحديدية إلى دمشق حيث مكث بها ما يزيد على سنة ثم عاد بالسكة الحديدية إلى مصر عن طريق فلسطين و القنطرة فنزل بحلوان ثم تحول إلى مدرسة محمد بك أبي الذهب المتوفى 1189 و هي المعروفة بين العامة باسم تكية الأتراك و تقع شمال جامع أبي الذهب الكائن في شمال الجامع الأزهر و المطل على ميدان الأزهر ثم رحل الرحلة الثانية إلى الشام سنة 1347 عن طريق فلسطين بسكة الحديد و أقام

---

[7] انظر معنى وكيل الدرس و سبب عزل الأستاذ في الفصل الثاني.

[8] انظر سبب مغادرته الآستانة في الفصل الثاني.

بدمشق حوالي سنة و عاد بنفس الطريق إلى مصر سنة 1348[9] فنزل بفندق الكلوب المصري بالحي الحسيني فلما التحق بدار المحفوظات المصرية لتعريب الوثائق التركية بعد اختياره نقل سكنه إلى القلعة ليكون قريبا من عمله و هناك حضرت عائلته حيث لأول مرة منذ مغادرته الآستانة. ثم انتقل بعائلته إلى شبرا فحلوان فشارع حسن الأكبر فشارع النزهة بالسكاكيني فشارع سوق العباسية بالمنزل رقم 17 فآخر شارع العباسية بالمنزل رقم 130 حيث زرته لأول مرة سنة 1356 ثم انتقل إلى رقم 60 من شارع العباسية في سنة 1357 و في أوائل سنة 1358 انتقل إلى المنزل رقم 63 من شارع العباسية حيث بقي عشر سنوات، و في أواسط سنة 1368 انتقل إلى المنزل رقم 3 حارة الروم المتفرع من شارع الملك، و انتقل منه بعد أشهر يوم الاثنين 20 من شوال سنة 1368 إلى المنزل رقم 104 بشارع العباسية على يسار السالك من مصر إلى مصر الجديدة بجوار قسم الوايلي و به توفي.

و كان قد تزوج بعد اشتغاله بالتدريس و ذلك قبيل الحرب العالمية الأولى بالسيدة الفاضلة النقية التي شاركته أفراحه و أتراحه و ساكنته في هجرته و غربته و هي لا تشكو و لا تتذمر بل كانت مثال المؤمنة الصالحة النقية على الرغم مما نالها من بلاء يؤود الجبال و ما نزل بها من أحزان تئط منها الجمال و لم يبن على غيرها طول حياته، و رزق منها ولدا و ثلاث بنات مات الولد و إحدى البنات بالآستانة قبل هجرته و ماتت البنتان بمصر.

---

[9] من أهم من لقيهم في الرحلة الأولى السيد أبو الخير الحنفي المتوفى سنة 1343 و المترجم بدمشق قبل عودته و هو السيد محمد أبو الخير بن أحمد المتوفى سنة 1317 ابن عبدالغني شقيق العلامة ابن عابدين المتوفى سنة 1252 – و لقي أيضا السيد محمد بن جعفر الكتاني المالكي المتوفى سنة 1345 – و الشيخ محمد بن سعيد بن أحمد الفراء الحنفي المتوفى سنة 1345 و هو ابن بنت محمد علاء الدين بن عابدين المتوفى سنة 1306 – و علاء الدين هذا هو أكمل حاشية والده على الدر – و لقي في رحلته الثانية محمد صالح الآمدي الحنفي المذكور في ص 16 من التحرير الوجيز – كما لقي في رحلته الأولى و الثانية كلا من محمد توفيق الأيوبي الحنفي و كذا محدث الشام السيد بدر الدين الحسني سمع منه و لم يستجزه.

فأما الآنسة سنيحة فماتت أثناء إقامته الثانية بحلوان في 20 من شوال سنة 1353 بحمى التيفوئيد، و أما السيدة مليحة فقد تزوجت ثم طلقت لسبب صحي و توفيت ليلة الأحد 7 من رجب سنة 1367 و صلي عليها بالحرم الحسيني يوم الأحد و دفنت مع شقيقتها و كانت وفاتها نتيجة ضعف عام من تسلط مرض السكر على الرغم من صغر سنها و ظلت تصلي إلى ظهر الجمعة ثم أحست بانهيار فأشهدت والدها أن عليها أداء الصلاة من عصر الجمعة فانظر إلى هذه المؤمنة التي تخرج من الدنيا و عليها صلاة يوم واحد بسبب وطأة المرض و شدة الاحتضار و قس هذه الحالة على كثير ممن يدعون الإسلام و يزعمون الانتساب إليه ثم لا يعرفون ما هي الصلاة.

و انظر قبل ذلك كله إلى ذلك الرجل الصالح الذي ربى أولاده تربية إسلامية صحيحة ثم احتسبهم عند الله صابرا راضيا و أذكر قول رسول الله صلى الله عليه و سلم: (ما من مسلم تدرك له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة) (الجامع الصغير للسيوطي و حسنه).

و كان المترجم – رضي الله عنه – يشكو في سنواته الأخيرة تارة من السكر و تارة من الضغط و آونة من الأملاح و غيرها من أمراض الشيخوخة على أن ذلك لم يكن ليقعده عن التأليف و لقاء تلامذته و تعليمهم و الرد على الأسئلة التي كانت تأتيه من المسلمين في مختلف البقاع، و في السنة الأخيرة من عمره شعر بضعف في بصره فأجريت له جراحة في إحدى عينيه ثم أصيب باحتباس البول و دخل مستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية – بالأجر – و غادره في آخر ربيع الآخر و لما زرته لآخر مرة و أفطرت عنده يوم الجمعة 27 من رمضان كانت تبدو عليه آثار الضعف و لكنه كان سليم الحواس حديد الذاكرة و أملى علي بعض فوائد عن مكتبة طوبقبو بالآستانة التي غادرها منذ أكثر من ثلاثين سنة و في شوال عاوده احتباس البول فدخل المستشفى الإيطالي و غادره بعد شفائه، و قد أكد لي الأخ الشيخ عبدالله عثمان أن المترجم ظل ممتعا بحواسه إلى آخر لحظات حياته.

و لذا فإن من يزعم أنه كف قبيل موته يكذب على الله و يكذب على الأحياء من عباد الله، و في يوم السبت السابق على وفاته شعر بأعراض الحمى فأحضر له الشيخ عبدالله عثمان و كان يلازمه في المدة الأخيرة – طبيبا قرر بعد فحصه أنه مصاب (بالانفلونزا) و أمر له بدواء.

و في ليلة الأحد اشتدت الحرارة و زاد الضعف، و بعد ظهر يوم الأحد المذكور رأى الشيخ عبدالله أن الحالة تستدعي حضور بعض الإخوان لمعاونته على ما قد يحدث فنزل قبيل صلاة العصر و لما عاد في الخامسة وجده انتقل إلى رحمة الله تعالى منذ خمس دقائق أي في الرابعة و الدقيقة الخامسة و الثلاثين من بعد ظهر يوم الأحد تاسع عشر ذي القعدة سنة 1371 إحدى و سبعين، و لم يحضره إلا زوجته التي أوصاها المترجم أن تقرأ الفاتحة عند خروج روحه و قد نفذت وصيته و صلي عليه قبل ظهر الاثنين 20 منه في الجامع الأزهر و أم الناس الشيخ عبدالجليل عيسى شيخ كلية اللغة العربية – كان – و دفن في قرافة الإمام الشافعي في حوش صديقه الشيخ إبراهيم سليم بشارع الرضوان و هو شارع يتفرع من الشارع الرئيسي الموصل إلى البساتين و يتجه شرقا إلى الجبل فإذا دخل في السائر مستدبرا شارع البساتين مستقبلا جبل المقطم وجد الحوش عن يمينه فإذا دخله وجد حوشا صغيرا غير مسقوف و يواجه الداخل قبر مكتوب عليه الفاتحة لروحي سنيحة و مليحة بنتي الكوثري في 20 شوال سنة 1353 هـ – رجب سنة 1367 هـ و إلى يمين الداخل دفن المترجم في قبر خاص لم تكن عليه كتابة يوم زرته بعد عصر الأربعاء 13 من ذي الحجة سنة 1371 – و قد رأيت عند السيد حسام الدين القدسي لوحة من الرخام أعدت لتوضع على القبر مكتوب عليها ما يأتي:

الفاتحة لروح محمد زاهد الكوثري و هو القائل:

يا واقفا بشفير اللحد معتبرا	**قد صار زائرا أمس اليوم قد قبرا**
فالموت حتم فلا تغفل و كن حذرا	**من الفجاءة و دع للذي عبرا**
فالزاهد الكوثري ثاو بمرقده	**مسترحما ضارعا للعفو[10] منتظرا**

و كان – رضي الله عنه – أملى علي هذا الشعر في 27 من رمضان سنة 1371 و قال إنه يود أن يكتب على قبره فكأنه كان يؤذنني بأن هذا هو آخر لقاء بيننا في هذه الدنيا الفانية.

و قبره قريب من أبي العباس المدرس المتكلم المشهور – رضوان الله عليهما.

هذا هو الرجل الذي فقده الإسلام و خسره الأحناف و رزئ فيه العلم و ثكلته المروءة و استوحش لغيابه الزهد و شغر بمكانه بمصر – رضي الله عنه و أرضاه و أعلى في جنان الخلد منازله و مثواه.

---

[10] يلاحظ أنه أملى علي (للصفح) بدلا من (للعفو).

الفصل الثاني

ذكر أهم الأحداث في حياته على ترتيبها الزمني

فأولها: حادث الغرق بأقششهر و تفصيل ذلك أنه عقب الهدنة استقال من عمله في قسطموني و أراد العودة إلى الآستانة و كان الوقت شتاء و يستحيل السفر بالبر لكثرة الثلوج و صعوبة السير – و ليس إلا طريق البحر الأسود فسار من قسطموني إلى إينابولي و هي ميناؤها على البحر و تبعد عن قسطموني نحو مرحلة إلى الشمال و هناك بعد أن طال انتظاره اضطر إلى ركوب باخرة صغيرة قديمة كانت تسير حينا و تتلف آخر حتى وصل إلى ميناء أريلي و هناك فضل تركها و استقل قاربا يقصد أقششهر و هي ميناء بلدته دوزجة و تبعد عنها نحو خمس ساعات بالعربة التي تجرها الخيل على نية أن يبقى ببلدته حتى تتيسر له سبيل العودة إلى الآستانة و كانت مغادرة أريلي مع الفجر و قبيل العصر بدت له و لمن معه من الركاب مدينة أقششهر و بدأ اضطراب البحر و اشتداد هياجه، و ما إن أشرفوا على الساحل عن بعد حتى انقلب بهم الزورق و لكنهم ظلوا متمسكين به و رآهم من كان على الشاطئ فهموا بإنزال زورق آخر، و لكنهم اضطروا إلى العدول لشدة هياج البحر و اضطراب أمواجه فما كان من اثنين منهم إلا أن نزلا إلى الماء و سبحا و معهما حبال طويلة ربطا بها الزورق و عادا لمن في البر لجذبه و أثناء الجذب اشتدت الأمواج المثلثة: و هي بأن تأتي الموجة تعقبها ثانية ثم ثالثة متتاليات، و أدى ذلك إلى أن أفلت من في البر الحبال و عاد الزورق إلى وسط البحر كما كان، كل هذا و الغرقى متمسكون بالزورق في شاعرين بما يبذل لإنقاذهم، فلما اشتدت الأمواج المثلثة أرغمتهم على إفلات الزورق و هنا بدأ الشيخ يغرق، و كان مما دار بخلده عند انقلاب الزورق أن لو كان غريق بعيدا لكان أجدى من غرقه هنا حيث يعثرون على جثته فيترتب على ذلك إزعاج والده و أهله، فلما بدأ يغرق قال

لنفسه أهكذا الموت غرقا بهذه السهولة كنت أظنه أشد من ذلك ثم غاب عن وعيه – و لم يفق إلا على طنين في أذنيه ثم بدأت حواسه تعود إليه حتى أفاق ثم ألزمه منقذوه أن يجري حتى لا يهلك مما تحمله من شدة البرد و مقاومة الأمواج و مع وجود كثير يعرفونه لم يعرفه أحد إلا بعد مدة حين تمت إفاقته و عاد الدم إلى وجهه.

و علم بعد ذلك أن الرجلين اللذين ربطا الزورق بالحبال كانا في شبابهما ممن يعمل في البحر ثم أثريا و تركا تلك الصناعة لعمال تحت أيديهما، فلما شاهدا الحادث – و اتفق عدم وجود أحد غيرهما يحسن الإنقاذ – نزلا و ربطا الزورق، و لما اضطرت الأمواج المنقذين إلى إفلات الزورق عادا إلى النزول و أنقذا جميع الغرقى الذين خرجوا أحياء و لم يمت أحد منهم و لله الحمد – و لما أراد شيخنا مكافأة الأخوين ماديا – و ذلك لأن الرجلين المنقذين كانا أخوين – قيل له مهما تكافئهما فلن تؤثر مكافأتك عليهما لأنهما من الثراء بمكان عظيم، و لكن لو توسطت لدى الحكومة فشكرت لهما هذا الصنيع لكان أجدى فلما عاد إلى الآستانة وسط بعض أصدقائه لدى الصدر الأعظم فأنعم عليهما بنوط و أشير إلى أن ذلك لشهامتهما.

و علم الشيخ أنهم عند إخراجه ظنوه قد مات و لكن أحد الشيوخ قال: اعملوا الواجب بأن تضربوه على رجليه و تستفرغوا الماء منه إلى آخر ما يعمل لإنقاذ الغرقى – و ما هي إلا هنيهة حتى أفاق و عاد إليه شعوره و كان معه عند الغرق مجموعة من أنفس المخطوطات – بلغ الحرص به عليها – أن نقلها معه من الآستانة إلى قسطموني – و لم يرد تركها هناك فحملها معه حيث غرقت فيما غرق من متاعه و كان بينها مخطوط.

كان من ضمن ما فيه أن كاتبه ذكر أنه رأى (الأمالي) لأبي يوسف القاضي الصاحب المتوفى سنة 182 في قمطر (دولاب) خاص و أن الكتاب المذكور في ثلثمائة مجلد، و كان هذا الحادث في سنة 1337، و كانت المخطوطات سالفة الذكر منها ما هو من مخطوطات القرن السادس، و منها ما هو من القرن السابع أي أنها كانت من عيون

الذخائر، أما المخطوط الذي ذكر (الأماني) فقد كان مخطوطا بعد الألف، و ليس له تاريخ و لا اسم مؤلف و لكن الشيخ يرجح أن مؤلفه هو العلامة (نوح القونوي) محشى (درر الحكام شرح غرر الأحكام) المتوفى سنة 1070 و المدفون بمصر قرب قبر عقبة بن عامر – و كانت الكتابة مبتدئة في كل صفحة من الزاوية ثم تسير في أسطر مائلة حتى تنتهي في الزاوية المقابلة، و كان هذا المخطوط يحتوي على مجموعة رسائل نادرة من ضمنها رسالة لابن حجر الهيتمي الشافعي المتوفى سنة 974 في مناقب أبي حنيفة غير (الخيرات الحسان) و كان في أيضا رسالة جاء بها أن مؤلفها رأى في مخطوط قديم رواية عن أبي عاصم العامري القاضي أن (الأمالي) بالوصف السابق ذكره – و لأبي عاصم هذا (المبسوط) في الفقه الحنفي في ثلاثين مجلدا، و ذكر عبدالقادر القرشي المتوفى سنة 775 أنه موجود بمكتبة نور الدين الشهيد بالشام، و كان هذا المخطوط مما اشتراه شيخنا من تركة شيخه محمد خالص الشرواني المتوفى سنة 1331، و مما غرق أيضا يومئذ عقيدة الطحاوي المتوفى سنة 321 بخط ابن العديم صاحب تاريخ حلب المتوفى سنة 660 و عليه سماعات و غير ذلك من الذخائر و النفائس – و لما أنقذ الشيخ لجأ إلى دوزجة ليستجم بها بضعة أيام و في أثناء ذلك وردت له برقية من الآستانة بتعيينه في دار الشفقة الإسلامية فتوجه إلى الآستانة كما مر ذكره في الفصل الأول.

و ثانيها: عزله المشرف من منصب وكالة الدرس و يحسن أن نذكر معنى الكلمة و سببها و ذلك أن السلطان بايزيد[11] الثاني بنى مدرسة و أمر بأن يدرس فيها شيخ الإسلام و مع تطورات الزمن عين مشايخ للإسلام يجيدون السياسة أكثر من العلم فكانوا ينيبون عنهم وكيلا لأداء هذا الدرس عرف باسم وكيل الدرس أو (درس وكيلي) كما يقول الترك ثم

---

[11] المتوفى سنة 918 و هو ابن السلطان محمد الثاني فاتح مدينة قيصر المتوفى سنة 886 و والد السلطان سليم الأول فاتح مصر سنة 923 و المتوفى سنة 926.

انتهى الأمر بأن أصبح لشيخ الإسلام ثلاثة وكلاء أحدهم للفتوى و يسمونه (فتوى أميني) أي أمين الفتوى و الثاني: له الإشراف على العلم و العلماء و المدارس، و هو وكيل الدرس و وظيفته تقابل منصب شيخ الأزهر بمصر – و الثالث: رئيس التحقيقات الشرعية، و وظيفته ضبط أعلام القضاة و الإشراف على الشيءون القضائية – أما تعيين القضاة و عزلهم، فكان بأمر السلطان بناء على اقتراح شيخ الإسلام و تقرير مجلس القضاء.

و كان سبب عزل الأستاذ عن منصب وكيل الدرس أن لجنة مساعدة منكوبي الحرائق بالآستانة أرادت هدم مدرسة أنشأها السلطان مصطفى الثالث المتوفى سنة 1187 و المشهور باسم لاله لي – لتبنى عليها دار لإسعاف المنكوبين لتكون بمثابة مأوى لهم و كانت اللجنة برئاسة شرف السلطان محمد وحيد الدين[12] السادس و رياسة توفيق باشا فعارض الأستاذ في هدمها و طلب من شيخ الإسلام[13] أن يعارض فلم يعمل شيئا فما كان من الأستاذ إلا أن رفع دعوى لدى المحكمة لمنع هدم المدرسة لأنها مستكملة شرائطها و لا يجوز هدمها إلا بحكم و وكل عنه محاميين و رفعها أمام أحد القضاة الطربشين (أي لابسي الطربوش) لعدم ثقته بالمعممين و أثناء سير الدعوى ولي توفيق باشا منصب الصدر الأعظم.

و حاولوا ثني الأستاذ عن عزمه فلم يفلحوا فاحتجوا بأن صاحب الحق في رفع الدعوى هو شيخ الإسلام فأخرج لهم الأستاذ نصا بأن المدارس قابعة لوكيل الدرس فلم يروا بدا من عزله و تعيين سواه على أنه بقي عضوا في مجلس وكالة الدرس الذي كان رئيسه كما مر ذكره فلم يسكت بل ذهب لمن خلفه و قال له إن سكت فبها و نعمت و إن لم

---

[12] هو آخر سلطان عثماني و خلفه ابن عمه عبدالمجيد الثاني خليفة فقط بينما تولى السلطة الفعلية عدو الله كمال رئيسا للجمهورية ثم عزل الخليفة و زالت الدولة و سبحان من يرث الأرض و من عليها.

[13] و اسمه نوري أفندي و هو آخر قاض أرسلته الدولة العثمانية إلى مصر و بعده انفصلت مصر عن تركيا كما أنه آخر شيوخ الإسلام بالآستانة و بعده ألغي المنصب.

تسكت و تنازلت عن الدعوى بعزل المحاميين فثق بأني مهاجمك فقال له: أنا أسكت و الدعوى تأخذ سيرها ثم انقلبت الأمور و دخل الكماليون الآستانة و قبيل دخولهم غادرها الأستاذ و هدمت المدرسة بعد ذلك فعلا و بنى مكانها سلم لإدارة الهلال الأحمر و هذه الدار الآن[14] هي مركز الكفر و الإلحاد – و العياذ بالله – بينما كانت المدرسة المهدومة مسكنا للطلبة الذين حصلوا على إجازات علمية و أصبحوا علماء، و لكن لم يتزوجوا فكان يسكنها كل صالح و كان لشيخنا صديق من حاشية السلطان وحيد الدين، و كان ذلك الصديق صالحا و متألما لهدم المدرسة، فقال له الشيخ: أخبر السلطان أن السلطان مصطفى لاله لي و إن عرف عنه أنه كان مجنونا إلا أنه بنى هذه المدرسة المباركة، و في زمنه احترق جامع الفاتح فجدد بناءه و وقف على خيرات جمة، و له عدة أوقاف و صدقات جارية بالآستانة، فهدم هذه المدرسة المباركة يكون مشيءوما خصوصا و قد بلغني أن السلطان قال: هذا عمل جدي و لا بد قبل هدمه من بناء سواه.

و الآن أقف برهة أسائل فيها نفسي كم من علماء الإسلام يستطيع – في كل سبيل ما يعتقده حقا – أن يقف في وجه من بيده أدنى سلطان فضلا عن الوقوف في وجه (جلالة) السلطان، أظن أن العدد يكون قليلا جدا و الكوثري كان من هذا القليل النادر.

و كان مرتب منصب وكيل الدرس خمسة و سبعين جنيها عثمانيا ذهبا في كل شهر و هو مبلغ طائل في تلك الأيام.

و ثالثها: اضطراره إلى مغارة البلاد فارا بدينه، و سبب ذلك أن الأستاذ كان من المستمسكين بدينهم، و استلزم ذلك كراهته الاتحاديين لنزعتهم الإلحادية، فلما ولي الأمر الكماليون و كانوا أشد إلحادا و لا دينية و بغضا للإسلام و

---

[14] المراد من (الآن) وقت التدوين في المحرم سنة 1359 أما الآن أي في المحرم سنة 1372 فربما يكون الوضع تغير خصوصا و قد ألغت الحكومة التركية كثيرا من القيود التي كانت موضوعة لمحاربة الدين الإسلامي.

علمائه و كل ما يتصل به كما ظهر منهم فيما بعد، فقد رأى أن الخير في مغادرة البلاد مؤقتا حتى تهدأ الفتنة خصوصا و قد أخبره بعض المخلصين أن هناك مؤامرة لاعتقاله فخرج من السوق إلى الميناء دون الرجوع إلى منزله حيث استقل الباخرة من الآستانة إلى الإسكندرية كما مر في الفصل الأول.

و يجمل بي أن أعرض في هذا المقام للإصلاح الفاسد الذي زعمه الكماليون و فساده أتى من فصلهم الدين عن الدولة، فالدين الإسلامي كما يعلم كل منم له أقل إلمام به ليس بقاصر على صلاة و صوم و لكنه دين سياسة و تنظيم للمجتمع فكتب الفقه تبدأ بالعبادات، و لكنها تشتمل المعاملات العامة و الخاصة و العقوبات و الحظر و الإباحة، و كتب السير تبحث في الحرب و أحكامها و ما يترتب عليها و الغنائم و معاملة غير المسلمين مع مراعاة حقوقهم و حفظ ذمتهم، و إجمالا أقول: إن الدين الإسلامي في كل ما يراد من تحقيق مجتمع إنساني مثالي سعيد و لا يطلب فصل الدين عن الدولة إلا الذي لا يعرف ما هو الدين الإسلامي.

و مما لا شك فيه أن هذا الحدث أهم أحداث حياته فقد انتقل فيه من سعة دنيوية فانية إلى ضيق، و لكن العكس حدث فيما يتعلق بالآخرة و هي خير و أبقى ففضلا عن أجر مهاجرته إلى الله و رسوله، فقد انتقل من أفق تركي قاصر على دولة واحدة إلى أفق عالمي يشمل كل المسلمين، و ذلك أن وجوده في مصر هيأ له الاتصال بعلماء الإسلام في كثير من البلاد، و هيأ له حرية القول و التأليف، و هيأ له أن يكون له تلامذة من مختلف الأجناس و البلدان.

فأما الدنيا فقد غادرها، و قد مضى ضيقها الزائل و عسرها الفاني – و أما الآخرة فقد قدم عليها حيث يلقى جزاء ما أفاد عباد الله و ما علمهم و ما نصح لهم به.

و هكذا ترك هذا العالم الجليل وطنه غضبا لدين الله و لو نافق الكماليين لعاش معهم كما عاش سواه، و لكنه فر بدينه إلى مستقبل غامض و تلقفته الأحداث بمصر فهو حينا يعيش من ترجمة الوثائق التركية بدار المحفوظات، و آونة يعيش بما تجريه عليه وزارة الأوقاف من الخيرات و في كل ذلك تراه صابرا راضيا يشكر الله تعالى الذي حفظ عليه دينه.

و لا يشكو مما كان يتعرض له أحيانا من نفر لا خلاق لهم من الأخلاق يحاربونه في مرتبة الضئيل و يشنون عليه غارات شعواء انتهت كلها إلى أن أصبحت هباء، و بقي الشيخ راسخا رسوخ الطود ماضيا فيما عاهد الله تعالى عليه من ذب عن دينه و حفظ لدعائم تنزيهه فلا يخرج من الدنيا حتى يكون سجل تعاليمه الخالدة النافعة الرائعة في سطور تآليفه و صدور تلاميذه.

الفصل الثالث

وصفه وصفا دقيقا

كان – رحمه الله – طويل القامة ضخم القامة ممتلئ الجسم في غير بدانة خفيف العارضين قصير اللحية أشيب الشعر جميل الصورة حديد السمع و البصر بديع الذاكرة جميل الخط، فقد كان خطه يقرأ بسهولة لضبطه قواعده و حرصه على مواضع النقط من الحروف، فكأن دقته في تحقيقاته و علمه كانت تنعكس على الأوراق حين يرسم عليها حروفا ظاهرة جلية. و كان يجيد اللغات العربية و التركية و الفارسية و الجركسية، و كان إذا كان تكلم بالعربية تبدو عليه مسحة طفيفة من اللكنة الأعجمية، و لكن كلامه كان واضحا في عامية العربية و فصيحها، و إذا تكلم بالفصحى أقام بالأعراب و في بعض الأحيان كنت آخذ عليه تعبيرا أو جملة فيقول: (أعجمي يا شيخ سبيك من نقده) حتى إذا ظننت أني ظفرت به أتى بشاهد عربي يؤيد وجهة نظره و من ثم أصبحت أنا و كثير من تلامذته لا نعارضه في تعبير لثقتنا بأنه مستند فيه على إلى شاهد لغوي متين. و بالجملة فقد كان عالي الأسلوب دقيق العبارة متين التركيب يختار من الألفاظ ما يحسن به أداء المعنى، كما أنه كان يقول الشعر و لكنه لم يكن مبرزا فيه تبريزه في النثر، و ذلك لأنه لم يشغل نفسه به و لعله على حنفيته اقتدى في هذا المقام بالإمام الشافعي[15] – رضي الله عنه – في قوله:

و لولا الشعر بالعلماء يزرى   لكنت اليوم أشعر من لبيد[16]

---

[15] هو الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى بمصر في سلخ رجب سنة 204 و على قبره قبة يستجاب فيها الدعاء.

[16] لبيد شاعر جاهلي مشهور أسلم و ترك الشعر و هو من أصحاب المعلقات توفي سنة 41.

و كان ذا ذاكرة فذة و لا سيما في حفظ الأسماء، فكان إذا سمع شيئا أو رأى أحدا مرة واحدة ذكره و لو بعد سنوات، و هيأ له ذلك مع كثرة اطلاعه على المخطوطات النادرة في الآستانة و مصر و الشام أن يصبح حجة لا يبارى في علم الرجال و جمع إلى براعته في الحديث و رجاله مهارة فائقة في علم الكلام و تنزيه الله سبحانه و تعالى، كما كان أستاذ العصر في علمي الأصول و الفقه، و كان على عبقريته المدهشة يسره أن يتعقبه العلماء – و المراد بالعلماء المدلول الصحيح لهذه الكلمة – و قد ظل يذكر السيد أحمد رافع الطهطاوي المتوفى سنة 1355 بخير دائما مع أنه تعقب بعض تعاليقه في ذيول تذكرة الحفاظ بمؤلفه (التنبيه و الإيقاظ)[17] و لم يغضبه أبدا تأليف السيد أحمد لأن شيخنا كان يقصد من تعليقه النفع و الإفادة و تعقب السيد أحمد كان كذلك.

و كان يرد على مهاجميه ردا يتفاوت بين جمله في ثنايا كتاب و بين مؤلف خاص فقد اكتفى في الرد على مؤلف (تنبيه الباحث السري)[18] بقوله في ص 48 من (حسن التقاضي) – يأتي في فصل ذكر مؤلفاته: (فمن يشتبه في شيء مما سطرناه .. إلى قوله و يرثى لمن يطلق لسانه بكل عدوان في أقدس مكان غير متصون مما يوجب تضاعف السيئات و الله ولي الهداية) اهـ. يشير بذلك إلى أن مؤلف تنبيه الباحث السري من سكان البلد الحرام، و الواقع أن مؤلفه أراد أن يعاتب شيخنا على تعصبه للأحناف فتعصب في تنبيهه للمالكية تعصبا شديدا ظاهرا في مؤلفه.

كما أنه لما أرد أن يرد على طليعة التنكيل[19] رد بمؤلفه (الترحيب بنقد التأنيب) – فلما رد معلق الطليعة على المترجم بكتابه (حول ترحيب الكوثري بنقد تأنيبه)[20] و حشا كتابه سبا و شتما ترفع المؤلف عن الرد عليه تنزها عن مجاراة

---

[17] اسمه الكامل (التنبيه و الإيقاظ لما في ذيول تذكرة الحفاظ) مطبعة الترقي بدمشق سنة 1348 في 166 صفحة في التصويبات.

[18] طبع بمطبعة مصطفى الحلبي بمصر سنة 1367 في 203 صفحة.

[19] طبع بمطبعة الإمام بمصر سنة 1368 في 112 صفحة.

[20] طبع بمطبعة الإمام بمصر في 72 صفحة.

المهاترة و السباب.و يلاحظ أن المؤلف لم يكتف بسب شيخنا فحسب، و لكنه سب المصريين عموما الذين يزورون مقام الإمام الحسين عليه السلام بمصر. و السباب ليس من شأن العلماء و السفه أولى بالجهلاء، و قد مضى الكوثري و سيمضي شاتموه بل سنمضي جميعا و يبقى علم الكوثري و سب شانئيه لتقارن الأجيال القادمة بينهما، و حينئذ يتبين الغث من السمين و يتضح التافه من الثمين: [فأما الزبد فيذهب جفاء و أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض] (الرعد: **17**).

و قد عاش المترجم طول حياته خصما لابن تيمية[21] و مذهبه، و سرد آراء الأستاذ يخرج بالترجمة عن القصد و هي مبسوطة في كثير من تآليفه و تعاليقه، و على الرغم من أن لابن تيمية بعض المشايعين الآن بمصر فإنه سيتبين إن عاجلا و إن آجلا و لو يوم تعرض خفايا الصدور، أن ابن تيمية كان من اللاعبين بدين الله، و أنه في جل فتواه كان يتبع هواه و حسبك فساد رأيه في اعتبار السفر لزيارة النبي صلى الله عليه و سلم سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة[22].

و قد كان المترجم في كل ناحية تعرض لها بتأليف أو تعليق يفيد و يجيد و قد يكون هذا ميسورا لغيره إذا راجع و بحث، و لكن عبقرية المترجم كانت في سرعة رده و حضور ذهنه في كل ما يوجه إليه من أسئلة أثناء المحاورات العلمية المختلفة فكان دائما إما يقطع بالجواب الشافي أو يحيل إلى المرجع الوافي، و كان إذا تكلم في موضوع علمي تدفق كالنيل في فيضانه – و حينئذ لست ترى المتكلم عالما واحدا، بل و لا جماعة من العلماء، و إنما هو دار كتب قيمة تعرض على روادها نفائسها في دقة و ترتيب و إبداع و أمانة.

---

[21] هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني ثم الدمشقي الحنبلي المتوفى بدمشق سنة **827**.

[22] انظر عبارته الوقحة بهذا النص في ص **118** من الجزء الأول من مجموع فتاواه طبع مطبعة كردستان العلمية بمصر سنة **1326** و لابن تيمية عجائب غير هذه منها وقوعه في الخليفة العادل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فكأنه أراد الجمع بين غلاة النواصب في بغض علي عليه السلام و متطرفي الشيعة في بغض عمر – رضي الله عنه.

تعصبه المزعوم

دعاني إلى جلاء هذه النقطة ما نسب إلى الشيخ من التعصب. و التعصب لا يعدو أن تكون غايته الاستمساك باليقين و الذب عن الدين، فهذا: فرض لازم على كل مسلم لدينه و عقيدته أو أن يكون متعصبا مذموما للهوى و نزغ الشيطان، و هذا ما عصم الله تعالى أستاذنا منه. و كتبه و تآليفه شاهدة جميعها بأن تعصبه كان لله و رسوله – و نعم التعصب هذا فإن أبا حنيفة و أتباعه لم يخرجوا عن كونهم من الأمة و من خير من دافعوا عن الدين الإسلامي – و رمي المترجم بالتعصب من خصومه مردود بأن مذمة الخصم معللة و تجريحه محجوج لخصومته و بغضه – و الحالة الوحيدة التي قد يرتكز عليها بعض ذوي الهوى هي أن أحد تلامذته أشار إلى ذلك في بعض مطبوعاته و لكن حتى هذه الحجة منهارة فإن ذلك التلميذ حرص بعد ذلك على التودد إلى المترجم و الإفادة من علمه و التفاخر بالانتساب إليه إلى يومنا هذا مما يدل على اعتذاره مما قال و الفعل يجب القول؛ و الآخر ينسخ الأول؛ و الحسنة تمحو السيئة.

و قد يقول متورع – و ما أكثرهم حين لا يلزمون و أقلهم إذا ادلهم الخطب – قد يقول هذا المتورع المتزهد أفلا نمسك عن قوم مضوا و لعل لهذا السم المعسول بعض الوجه إذا كان أذى المؤذي مات بموته، و لكن الطاعنين على أبي حنيفة لا تزال كتبهم موجودة على توالي القرون، بل زاد انتشارها بطبعها و قد تجد من يميل إلى زيفها فالرد عليها كفيل بقمع المفسد المتهور فنعم التعصب هذا لأن السفيه إن لم يغلظ له في القول لا ينفك مصرا على سفاهته و لا يفتأ سادرا في حماقته.

و أي ورِع يكون في الإمساك عمن يقول إن إمام ثلثي الأمة فتان هذه الأمة و إن جنازته ترى في النوم عليها ثوب أسود و حولها قسيسون[23] أو أن يلبس جلد كلب و يتوضأ بنبيذ و يقول إن هذه هي صلاة الأحناف[24].

و أي ورِع يكون فيمن يقف ملجم اللسان من أجل سواد عيني الخطيب البغدادي[25] أو إمام الحرمين[26] اللذين لم يتورعا عن ذكر هذه المثالب القذرة التي لا تليق روايتها بحق عوام الناس و فساقها فكيف بالإمام الجليل الذي تواضع الناس على إجلاله و اتباعه جيلا بعد جيل.

و يعذر مضطر إذا ضاق ذرعه	**فجرد صمصاما به يتذرع**
فإن الذي تعيا به من حماقة	**ستقنعه حتما إذا تتدرع**

---

[23] انظر ص 453، 454 من الجزء الثالث عشر من تاريخ بغداد طبع مطبعة السعادة بمصر سنة 1349.

[24] انظر ص 56 و 58 من كتاب مغيث الخلق لإمام الحرمين المطبعة المصرية بمصر سنة 1352.

[25] هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الشهير بالخطيب البغدادي توفي في بغداد سنة 463 و له تاريخ بغداد طبع بمصر في أربعة عشر مجلدا وقع في الجزء الثالث عشر منه وقيعة بذيئة في إمامنا أبي حنيفة – رضي الله عنه.

[26] هو أبي المعالي عبدالملك بن عبدالله الجويني المعروف بإمام الحرمين له كتاب مغيث الخلق في ترجيح القول الحق جرح فيه مذهب الأحناف تجريحا كاذبا سخيفا؟

زهده الفريد و عفافه النادر

كان الكوثري في زهده مثالا حيا لاسمه زاهد و كان في عفافه مترفعا عن الدنيا و عن أهلها إلى حد قد لا يتصور – و لا أستسيغ أن أذكر هنا بعض ما أعرف من نوادر عفافه لأنه كان يستحي من ذكرها و يتأذى من الكلام عن عسره – و لذا يكفيني و الله سبحانه و تعالى يعلم صدقي أن أقول: إن المترجم كان على قلة ذات يده أعف من رأيت – و إذا كان التعفف عن الدنيا في هذا الزمان أضحى متعسرا على الميسورين مستحيلا في حق المملقين فإن الله سبحانه و تعالى أراد خرق هذه الاستحالة فأوجد لنا معسرا عفيفا – هو الزاهد الكوثري.

و من فضائله الجمة عزوفه التام عن المماكسة و قد كتب لي السيد حسام الدين القدسي يقول ضمن كتابه عن الأستاذ لما لقيه عند قدومه لدمشق أول مرة في دار الكتب الظاهرية (و عاشرته فرأيت من خلقه أنه لا يساوم بائعا و لكن إذا تحقق من غشه تركه و لم يعامله). و أخبرني الشيخ عبدالله الحمصي أنه كان في مستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية يعطي ثلاثة من الممرضين ثلاثين قرشا يوميا و يعطي اثنين يساعدانه في الحمام للغسل كل أسبوع مائة قرش لمرة واحدة يغتسل فيها في الأسبوع و يساعدانه على تنظيف جسمه؛ و يقول للشيخ عبدالله: جرت عادة بعض المنتمين إلى سلك المشايخ أو العلماء على التقتير و الشح و المساومة و .... فيجب أن تقتلع من رؤوس الناس هذه الفكرة عنهم اهـ). قلت: و بهذه المناسبة أذكر أن سبب حرصي على التعرف إليه و التتلمذ عليه هو أني لقيته بمكتبة المرحوم السيد محمد أمين الخانجي المتوفى سنة 1358 و هو يلح على الخانجي في أن يأخذ أكثر مما طلب، و يقول له: الكتاب يساوي أكثر و إنما أنت تحط من السعر لأجلي، و هذا أمر لا أقبله. و الخانجي يصمم على الرفض و يقول: إن الثمن الذي أطلبه في ربح لي. فعجبت من هذه المحاورة التي ينذر حدوثها قديما و ينعدم حديثا، و

أحببت أن تكون لي صلة بهذا العالم الفاضل الذي لا يريد استغلال علمه في أي ناحية مادية و قد تم لي ذلك بحمد الله و كنت أنا الفائز بتلقي العلم على علامة عصره.

و مما هو مشهور بين عارفيه أنه كان لا يقبل أجرا على تعليمه أحدا و لا على تصحيحه كتابا، بل كان يقول ما قاله للسيد حسام الدين القدسي لما عرض عليه مائة نسخة من كل كتاب صححه من مطبوعاته (هل يجتمع هذا مع الأجر في الآخرة)؟ فسكت القدسي.

و لما اشتدت به العلة في أخريات أيامه و أرهقته أسباب العلاج شرع في بيع كتبه و امتنع بتاتا من قبول المعاونات المادية التي عرضها عليه بعض الفضلاء من تلامذته.

و قد عرض عليه في السنة الأخيرة من حياته أستاذان من أساتذة الجامعة هما: أبو زهرة و الخفيف أن يلقي بعض الدروس في الشريعة بجامعة فؤاد الأول فاعتذر و ألحا فأصر؛ فلما عاتبته في ذلك قال: إن هذين الفاضلين عرضا ما عرضاه لاطمئنانهما بأني سأقوم بواجب التدريس كما ينبغي و صحتي لا تسمح لي بذلك الآن و لا أستحل لنفسي و قد أوشك الأجل على الانتهاء أن ألتزم القيام بأمر أثق بأني عاجز عنه اهـ. قلت: و لو أن كل مسلم امتنع من أخذ أجر ما لا يقوم به لامتلأت خزائن الدول الإسلامية و لا سيما الحكومة المصرية مما يتوفر لها من ذلك.

و قد ظل طول إقامته بمصر يؤلف و يدرس و ينصح و يرشد ما وجد إلى ذلك سبيلا. و كان يشير على تلامذته بطبع النافع من الكتب و نشرها. و كان ممن سمع له السيد عزت العطار فطبع كثيرا من نفائس المخطوطات بإشارته.

و كان المغفور له الصديق النبيل الشيخ مصطفى عبدالرازق يجل أستاذنا و يبجله و لا غرو فالفضل يعرفه ذووه. و لما رأى شيخنا حرص شيخ الأزهر على الإفادة من توجيهاته كتب تقريرا ضمنه ما يراه لإصلاح الأزهر و إحياء علم

الحديث الذي اندثر من الديار المصرية بعد أن كان فيها أشهر حفاظه، و لكن موت الشيخ مصطفى في ربيع الأول سنة 1366 جعل هذا التقرير يحفظ ضمن المهملات التي يحفظ فيها كل مشروع نافع في مصر. و يزال التقرير موجودا و لعل شيخ الأزهر الحالي و هو ممن يعرفون فضل شيخنا يعمل على بعثه و الإفادة مما فيه و الله ولي التوفيق.

الفصل الرابع

قصيدتي فيه و هي 75 بيتا مع شرحها

1- رزء أناف[27] بقسوة و تجبر ففقدت منه تجلدي و تصبري

2- لم يقض ربي أن يخلد كائن في هذه الدنيا ففيم تكدري

3- و الموت خاتمة الحياة و كلنا بحياتنا إياه حتما نشتري

4- لكن فقدان الأحبة كربة منها تئط النفس مما يعتري[28]

5- و يخفف الظن الجميل بربنا وقع أسى[29] من لهفة و تحسر

6- و يهون الحزن اليقين بأنهم في جنة بشفاعة المدثر

7- من مات يؤمن بالإله و أحمد[30] شملته رحمة ربه المتكبر

8- الله في سمع تلقى ناعيا يأتي بمكروه الحديث منفر

9- ينعى الأعزة للفؤاد يذيبه فتخاله كالواله المتحير[31]

10- ينعى المروءة إذ نعى لي (زاهدا) ينعى التقي أخا الرجال الأبحر

11- ينعى الشهامة و الكرامة و الوفا و الصدق و التحقيق غير معذر[32]

---

[27] أناف على الشئ أشرف عليه.

[28] تئط تصوت من الثقل – و يعتري يغشى و يجئ

[29] الأسى هنا الحزن.

[30] صرف أحمد ضرورة.

[31] فتخاله فتظنه – و الواله من ذهب عقله من شدة الوجد.

12– ينعاه للإسلام أخلص مسلم — في عهدنا و لسامع أو مبصر المنشأ

13– يا ابن الأي هجروا القفاز بدينهم — و استوطنوا الأناضول حين المهجر[33]

14– فولدت فيه قوم جاهدوا — و ورثت منهم دين طه الأقمر[34]

15– و درست في دار السعادة[35] طالبا — و نهلت منها الصفو غير معكر

16– و نشأت فيها عالما و معلما — و حييت مثل الشمس بين الأنهر[36]

17– و وليت خير مراتب بجدارة — و وقفت فيها وقفة الحر الجري[37]

18– و نشرت علما طول عمرك داعيا — كل الأنام إلى الصراط الأنور

19– أشرقت شمسا في مدينة قيصر — و أتيت تغرب في محيط الأزهر[38]

---

[32] قصر الوفا ضرورة – معذر بكسر الذال المشددة اسم فاعل من عذر في الأمر قصر بعد جهد.

[33] القفاز أو القوقاز أو القفقاس بلاد في جنوب شرق أوروبا كانت للمسلمين ثم غلبهم عليها الروس في القرن الماضي فغادرها المسلمون بعد حروب طويلة و كان والد المترجم و رهطه فيمن هاجروا و استوطنوا الأناضول و يعرف بآسيا الصغرى و يشغل الآن معظم الجمهورية التركية أو كلها الآسيوي و الكلمة يونانية الأصل و معناها مطلع الشمس لأنها تقع في شرق بلاد اليونان و يفصل بينهما بحر إيجه.

[34] الأقمر الأبيض و هو كناية عن حسنه صلى الله عليه و سلم.

[35] دار السعادة من أسماء الآستانة و فيها تعلم المترجم و علم و نهلت من النهل و هو الشرب الأول.

[36] الأنهر جمع نهار و فيه تكون الشمس.

[37] الجرئ بالمد و الهمزة التي حذفت للضرورة.

[38] مدينة قيصر من أسماء الآستانة و صرف قيصر ضرورة و محيط كناية عن القاهرة التي فيها الأزهر و فيها توفي المترجم – و أشرقت كناية عن أشرقت الشمس أي أضاءت خلافا لشرقت أي طلعت و ذلك لأن المترجم لم يولد في الآستانة و إنما اشتهر فيها بعد تخرجه.

جهاده و آلامه

20- يا من حييت مجاهدا بعقيدة لا تستخف بزخرف و مقنطر[39]

21- و الناس للدنيا عبيد قلما يرضى الأنام بقلة و تعسر

22- و الزهد مزهود و معظم أهله يحيون في الإملاق[40] دون تخير

23- و لذاك كنت الفذ قل مثيله في زهده من معرب أو عبقري[41]

24- قاومت كل منافق بنزاهة في قوة و حماسة و تسيطر

25- و ظللت تردع من يحيف[42] بشدة عن كل إفساد و كل تجبر

26- كم آلموك و عذبوك لجهلهم لما رأوك الشهم غير مسير

27- فتركتها لما رأيت هواهم أضحى به الإسلام شبه مكفر[43]

28- و فررت تبغي وجه ربك راضيا عما قضاه بقسمة و مقدر

29- و حللت أرض النبل ضيفا مكرما و غدا نزيل النيل سبط الكوثر[44]

30- و النيل يكرم ضيفه و بلاده كم رحبت بالضيف دون تعير[45]

---

[39] الزخرف: الذهب. و المقنطر المكمل و المضعف و المراد بهما زينة الدنيا الزائفة.

[40] الإملاق: الافتقار.

[41] الفذ: الفرد، و العبقري: الجد القوي العجيب في حذقه.

[42] يحيف: يجور و يظلم.

[43] المكفر بضم أوله و فتح الكاف و فتح الفاء المشددة المجحود النعمة مع إحسانه و كذلك أصبح دين الإسلام في نظر الدولة التركية الحديثة أحلوا محله القوانين الغربية.

[44] الكوثر هنا هو جد المترجم و فيه تورية بنهر الجنة المشهور.

31– فوجدت أقواما يرونك قدوة ... فغدوتهم فضلا بنصح مثمر

32– و لقد أساءك في الكناية[46] معشر ... و أبى كرامهم هوان معمر

33– فاترك لئام الحاقدين بغيظهم ... و اذكر مآثر (مصطفى) الشهم الثري

34– و اذكر سواه من الأولى نالوا العلا ... فغدت محامدهم حديث مذكر

35– و الله لن ينسى مروءة (يوسف) ... و شهامة (اللبان) يوم المحشر[47]

فضله و علمه

36– قد خلدته على الزمان مآثر ... و الخلد ليس على الورى[48] بميسر

37– رفعته فوق مناكب[49] بجدارة ... و سمت به فازدان بين المعشر

38– رغمت أنوف الحاسدين بعلمه ... و بحسن سيرته و صدق المخبر

39– قد عاش آية ربه في عقله ... سبحانه الوهاب فاسمع و انظر

---

[45] التعير بالعين المهملة اقتراض الماعون و الأمتعة و نحوها.

[46] الكنانة كناية عن مصر للحديث المشهور و هو و إن لم يصح عند المحدثين إلا أن المأمول في كرم الله تعالى تحقيق ما فيه.

[47] صرف يوسف ضرورة و هو الشيخ يوسف الدجوي المالكي المتوفى في صفر سنة 1365، و اللبان هو الشيخ عبدالمجيد السنديوني الشافعي المتوفى في ذي القعدة سنة 1361 و مروءة الدجوي هي أنه شاطر المترجم منزله في عزبة النخل و أصر على أن ينزله عنده إبان اشتداد الغارات الجوية في غضون الحرب العالمية الأخيرة إذ كانت العباسية حيث يقطن المترجم هدفا للغارات الجوية، و أما شهامة اللبان فقد كان يحول دائما بين المترجم و بين شانئيه الذي كانوا يحاربونه في مرتبه و يسعون في إخراجه من مصر فخاب فألهم و مروءة اللبان و بنيه يشهد بها كل من يعرفهم.

[48] الورى: الخلق.

[49] المناكب جمع منكب و هو مجتمع عظم العضد و الكتف و حبل العاتق.

40- في فقهه كالبزدوي محمد أو مثل (عبدالله) أو كالكردري[50]

41- و إذا تكلم في الرجال فإنما (يحيى)[51] يحدث بالغزير الأوفر

42- و إذا تعرض للعقائد فاحصا فمحمد إن شيءت أو كالأشعري[52]

43- ألفت في نصر الشريعة صادقا كتبا أفادت في انقماع المجتري[53]

44- نزهت ربك حسبما أمرت به آي الكتاب و سنة البدر السري[54]

45- سجلت علمك في الطروس مخلدا ما بين مخطوط و بين منشر[55]

46- أحققت في (الإشفاق) شرع محمد و غلبت في (الإحقاق) كل مظفر[56]

47- ثم انبريت مبينا كذب (الخطـ ـيب مؤنبا) فغدوت نعم المنبري

48- و جلوت زيف مزاعم في (نظرة) عبرت فيها الحق خير معبر

49- و أبنت في (النكت الطريفة) منصفا آراء شيخك صادقا لا تمتري[57]

50- و حويت في (الحاوي) مناقب صالح و هديت (بالنبراس) هدي غضنفر[58]

---

[50] البزدوي هو الصدر أبو اليسر محمد المتوفى سنة 493 و عبدالله هو أبو البركات النسفي المتوفى سنة 701 و قيل 710 و الكردري هو محمد بن عبدالستار المتوفى سنة 642 و ثلاثتهم من عيون فقهاء الأحناف.

[51] يحيى هو ابن معين المتوفى سنة 233 بالمدينة حاجا و كان أعلم الناس برجال الحديث.

[52] محمد هو أبو منصور الماتريدي المتوفى سنة 333، و الأشعري هو أبو الحسن المتوفى سنة 324 و كانا و لا يزالان إمامي أهل السنة في علم التوحيد.

[53] المجترئ: بالهمزة و حذفت للضرورة، و الانقماع القهر و الإذلال.

[54] السري: السخي في مروءة.

[55] الطروس: جمع الطرس و هو الصحيفة التي يكتب فيها و المنشر كناية عن المطبوعات لانتشارها.

[56] هذا البيت و الأبيات التالية له لغاية 54 يرد فيها بعض أسماء مؤلفات الأستاذ، انظرها و سواها في الفصل التالي.

[57] تمتري: تشك.

51– و محقت في (محق التقول) باطلا | و أضأت (الاستبصار) للمستبصر

52– و نشرت في (حسن التقاضي) سيرة | أرجت كجو بالعبير معطر[59]

53– أنصفت في (الإمتاع) شيخي أمة | و جعلت من (زفر) الشذا كالأذفر[60]

54– و بلغت قبلا بالإمام محمد | أمد (الأماني) من وكور الأنسر[61]

55– فاهنأ بما خطت يمينك مخلصا | في مصر أو في الشام أو أقششهر[62]

56– و اعلم بأن الله جل جلاله | أرضاه ما أبدعته من أسطر

57– فافرح بجيرة من نصرت كتابه | و امرح[63] بجنته و فز و استبشر

58– و هناك حي المصطفى و صحابه | و ارفل هنيئا[64] في الحرير الأخضر

حبه لمذهبه

59– أحببت علم أبي حنيفة في الورى | و جلوت ما أخفاه منه الممتري[65]

60– بينته بين الأنام مجاهدا | و موضحا فضل الفقيه الأشهر

---

58 الهدى: بفتح فسكون السيرة، و الغضنفر: الأسد و المراد الدمرداش المحمدي.

59 أرجت توهج ريح طيبها و العبير أخلاط تجمع بالزعفران و قيل هو الزعفران وحده.

60 الشذا حدة ذكاء الرائحة، و الأذفر المسك و المراد الإشارة إلى مؤلف الأستاذ لمحات النظر.

61 الأنسر جمع نسر طائر معروف من الجوارح يعيش في رؤوس الجبال.

62 أقششهر أو أقشه شهر: ميناء دوزجة و هي مدينة في الأناضول بجوارها قرية الحاج حسن التي ولد فيها المترجم.

63 المرح بالميم شدة الفرح بالفاء.

64 رفل في ثيابه: أطالها و جرها متبخترا.

65 الورى: الخلق كما مر، و الممتري المتشكك.

61- ألقمت خصمان[66] الإمام حجارة ... في شدة و نفاسة كالجوهر

62- و رددت كيدهم و رب معاند ... ظلت سفاهته طوال الأعصر

63- حتى انبريت[67] له بأقوى حجة ... و جعلت قولته حديث المزدري

64- أمسيت بين رجال مذهبك السني ... كالبيهقي الشافعي المسفر[68]

65- أحببت أتباع الإمام بأسرهم ... و نفحت بينهم شذا كالعنبر[69]

66- و لطالما علمتني و نصحت لي ... و أمرتني العرف[70] دون المنكر

67- و لئن رثيتك ما حييت فإنما ... بعض الجميل أرد غير مزور

الخاتمة

68- يا معشر الأحناف مات فقيهكم ... من كان يدفع عنكم من يفتري

69- إني لأخشى أن يعز شبيهه ... في الدين و التقوى و طيب العنصر

70- و يطيف بي حزني فأذكر حكمة ... نظمت و كررها حديث السمر[71]

---

[66] خصمان: بضم أوله جمع مخاصم مثل خصماء.

[67] انبرت له: اعترضت له.

[68] البيهقي هو أبو بكر أحمد بن الحسين المتوفى سنة 458 و فيه إشارة إلى ما قيل من أنه ما من شافعي إلا و للإمام الشافعي عليه منة ما عدا البيهقي فإن له منة على الشافعي بما ألف في الذب عنه و الدفاع عن مذهبه و كذلك كان المترجم يدافع عن مذهبه و الضرورة توجب تخفيف ياء السني.

[69] نفح الطيب فاح و الشذا حدة ذكاء الرائحة.

[70] العرف بضم العين المعروف.

[71] يطيف بضم أوله يقارب ويلم – السمر الذين يتحدثون بالليل و يلاحظ أن غالب اجتماعات الناس يكون ليلا لاشتغالهم بالنهار.

71- (حلف الزمان ليأتين بمثله) (حنثت يمينك يا زمان فكفر)[72]

72- إني و إن أوتيت كل فصاحة و بلاغة فرثيت غير مقصر

73- لمغلب[73] عن وصف ما شاهدته و عرفته من طيب و مطهر

74- كيف الإحاطة بالفضائل و الحجا[74] و العلم و الإخلاص دون تعثر

75- و لذاك أحصر في الكلام و إنما حسبي إذا أنا قلت (مات الكوثري)

---

[72] هذا البيت ليس من نظمي و إنما هو مضمن و لا أعرف قائله.

[73] المغلب بفتح اللام المشددة المغلوب مرارا.

[74] الحجا: العقل. تمت القصيدة و شرحها.

الفصل الخامس

في بيان مؤلفاته و تقدماته و تعاليقه و مقالاته

تنقسم مؤلفات الأستاذ إلى قسمين رئيسيين، أولهما: ما ألفه قبل هجرته من الآستانة، و الثاني: ما ألفه بعدها و الغالب على القسم الأول أنه مخطوط، و الثاني على العكس: كما أن مؤلفات القسم الأول لا ندري عنها شيئا سوى إرغام المريد الذي أهدى منه نسخا لتلامذته.

القسم الأول

1- نظم عوامل الإعراب (باللغة الفارسية) و هو أول مؤلفاته. مخطوط.

2- إزاحة شبهة المعمم عن عبارة المحرم. مخطوط[75].

3- الجواب الوفي في الرد على الواعظ الأوفى. مخطوط[76].

4- تفريح البال بحل تاريخ ابن الكمال. مخطوط[77].

---

[75] لشيخ يدعى المحرم شرح على شرح عبدالرحمن الجامي على كافية ابن الحاجب في النحو فيه عبارة في باب الندبة في المنصوبات رأى أحد زملاء الشيخ شطب أسطر منها ليستقيم المعنى في نظره و كان رأي الشيخ إبقاء العبارة كما هي بتأويل مستساغ تصح معه العبارة فألفها رسالة في نحو عشر صفحات.

[76] في ساحل البحر الأسود بلد يسمى أوف معروف بكثرة الوعاظ فقصد أحدهم بلدة الأستاذ و اشتهر بحسن الإلقاء و كان يقسو على الصوفية و في يوم أوغل في وعظه بعد الظهر و كان الشيخ وقتئذ يناصرهم فاختلى في غرفته حتى أتم رسالة في الرد عليه في نحو 20 صفحة و قدمها قبيل ظهر اليوم التالي إلى الواعظ فكأنما ألقمه الحجر و أقلع عن الكلام في الصوفية.

5- الصحف المنشرة في شرح الأصول العشرة لنجم الدين الطامة الكبرى. مخطوط.

6- ترويض القريحة بموازين الفكر الصحيحة في المنطق. مخطوط[78].

7- قرة النواظر في آداب المناظر. مخطوط[79].

8- النظم العتيد في توسل المريد طبع بآخر تاليه في 6 صفحات[80].

9- إرغام المريد في شرح النظم العتيد لتوسل المريد طبع في الآستانة سنة 1328 في 114 صفحة غير الفهرس و التصويبات[81].

10- إصعاد الراقي على المراقي. مخطوط[82].

11- النقد الطامي على العقد النامي على شرح الجامي. مخطوط[83].

12- الفوائد الكافية في العروض و القافية. طبع و ليس عليه اسم المؤلف[84].

---

77 لابن الكمال لغز تاريخي اخترعه يذكر فيه الأسداس و الأرباع و نحو ذلك كان يقول في الربع الثاني من العام الثالث من العقد الرابع من الثلث الثالث و هكذا و رسالة الأستاذ هي حل لذلك اللغز ببيان وضع جداول الشرح المقصود.

78 نشر اسم الكتاب في ترجمة الأستاذ في تأنيب الخطيب (بمناهج) بدل (بموازين) كما أملى علي و لما سألته عن الصحيح قال إنه لا يستطيع الجزم بذلك الآن و إنما كان ما يذكره أنه ترجمة كتاب معيار سداد الذي ألفه بالتركية الوزير جودت باشا في المنطق.

79 هو ترجمة كتاب آداب سداد الذي ألفه بالتركية جودت باشا أيضا في المناظرة.

80 ألفه سنة 1318 و هو في 34 بيتا.

81 ألفه سنة 1320.

82 يتضمن تخريج أحاديث مراقي الفلاح و مواضع الإشكال في الكتاب المذكور.

83 للشيخ محمد رحمي الأكيني من علماء الآستانة (العقد النامي) في مجلد التعليق على الفوائد الضيائية شرح الكافية لعبدالرحمن الجامي نقده الأستاذ و سمى نقده (النقد الطامي). في النحو.

13– تدريب الوصيف على قواعد التصريف. مخطوط.

14– تدريب الطلاب على قواعد الإعراب. مخطوط.

15– حنين المتفجع و أنين المتوجع قصيدة في ويلات الحرب العظمى الأولى طبعت.

16– إبداء وجوه التعدي في كامل ابن عدي. مخطوط.

17– نقد كتاب الضعفاء للعقيلي. مخطوط.

18– التعقب الحثيث لما ينفيه ابن تيمية من الحديث. مخطوط.

19– البحوث الوفية في مفردات ابن تيمية. مخطوط.

20– الروض الناضر الوردي في ترجمة الإمام الرباني السرهندي المتوفى سنة 1034 ألفه بقسطموني و هو الكتاب الوحيد الذي ألفه باللغة التركية. مخطوط.

21– المدخل العام لعلوم القرآن مخطوط في مجلدين ألفه بالآستانة و هو أهم مؤلفاته مطلقا لما فيه من التقصي و المقارنة و البحث سواء من ناحية الموازنة بين المفسرين بالرواية و المفسرين بالدراية و مسالكهم و فيهما يتعلق بجمع القرآن في أدواره الثلاثة (النبي عليه الصلاة و السلام – و أبي بكر – و عثمان رضي الله عنهما) و ما يتعلق برسم القرآن و قراءاته الأربع عشرة و طبقات قرائه و الإلمام العام بما ألف في القراءة و الرسم و تراجم المفسرين و ذلك على توالي القرون، و لم يكن الشيخ يأسف على شيء أسفه على ضياع هذا الكتاب الذي لا يدري مآله، و لعل

---

[84] هكذا أملى علي (الكافية) و لكن جاءت هذه الكلمة في آخر الاستبصار (ص 37) (الوافية).

الله يسهل العثور عليه فقد أخبرني الأستاذ محمد سامي الخانجي أن كتب الشيخ التي كان يملكها ظهرت أخيرا في الآستانة بعد انقضاء ثلاثين سنة على اختفائها عقب هجرته مما يدل على أنها كانت محفوظة و لعل المدخل يظهر يوما – و يلاحظ: أن ما ذكر ألف بعضه بالآستانة و البعض بدوزجة أثناء العطلة المدرسية و البعض بقسطموني.

القسم الثاني

1– رفع الريبة عن تخبطات ابن قتيبة. مخطوط[85].

2– صفعات البرهان على صفحات العدوان طبع في دمشق بمطبعة الترقي سنة 1348 في 54 صفحة[86].

3– الإشفاق على أحكام الطلاق و طبع في مطبعة مجلة الإسلام في 104 صفحة[87].

4– بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني طبع (ضمن الرسائل النادرة التي كان يطبعها الخانجي سنة 1355 في 72 صفحة).. غير الفهارس و التصويبات.

5– التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز طبع بمطبعة الأنوار سنة 1360 في 47 صفحة[88].

---

[85] رد به على ابن قتيبة في مؤلفه مختلف الحديث الذي وقع فيه التشبيه و الطعن في أبي حنيفة و النقل عن كتب أهل الكتاب واصفا إياها بالصحة كقوله التوراة الصحيحة و الإنجيل – ألفه أوائل مجيئه مصر.

[86] نقض به ما كتبه السيد محب الدين الخطيب في مجلة الزهراء.

[87] رد به على نظام الطلاق للشيخ أحمد شاكر.

[88] و هو ثبته ذكر فيه أسانيده و شيوخه و شيوخهم و ترجم لكثير منهم و فيه على صغره فوائد جمة.

6- تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب طبع سنة 1361 في 200 صفحة غير مقدمة حافلة في ترجمة الأستاذ[89].

7- إحقاق الحق بإبطال الباطل في مغيث الخلق طبع بمطبعة الأنوار سنة 1360 في 66 صفحة[90].

8- أقوم المسالك في بحث رواية مالك عن أبي حنيفة و رواية أبي حنيفة عن مالك طبع في آخر إحقاق الحق في الصفحات 67 – 72.

9- تذهيب التاج اللجيني في ترجمة البدر العيني المتوفى سنة 855 لخصها طابع شرحه للبخاري و طبعها بأوله.

10- الاهتمام بترجمة ابن الهمام المتوفى سنة 861 لم يطبع.

11- عتب المغترين بدجاجلة المعمرين. مخطوط[91].

12- تحذير الخلف من مخازي أدعياء السلف. مخطوط[92].

13- قطرات الغيث من حياة الليث المتوفى سنة 175 مخطوط.

---

89 رد به على مفتريات الخطيب البغدادي في الجزء الثالث عشر من تاريخ بغداد عند ترجمته إمامنا أبا حنيفة مع تذيل في الرد على ما جاء في حق أبي يوسف و محمد بن الحسن و الحسن بن زياد اللؤلؤي.

90 رد به على مطاعن إمام الحرمين في مؤلفه مغيث الخلق التي افترى فيها على الأحناف.

91 ملخصها دحض المزاعم المنتشرة بين بعض أرباب الأثبات بخصوص معمرين أعمارا وهمية تبلغ المئات من السنين و استعارهما منه الأيوبي بالشام في رحلته و بقيا عنده.

92 ملخصها دحض المزاعم المنتشرة بين بعض أرباب الأثبات بخصوص معمرين أعمارا وهمية تبلغ المئات من السنين و استعارهما منه الأيوبي بالشام في رحلته و بقيا عنده.

14- الحاوي في سيرة الإمام أبي جعفر الطحاوي المتوفى سنة 321 طبع بمطبعة الأنوار سنة 1368 في 43 صفحة.

15- فصل المقال في بحث الأوعال ثم سماه فصل المقال في تمحيص أحدوثة الأوعال. مخطوط[93].

16- البحوث السنية عن بعض رجال أسانيد الطريقة الخلوتية[94].

17- نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام مطبعة أمين عبدالرحمن سنة 1362 في 67 صفحة غير التصويبات.

18- نبراس المهتدي في اجتلاء أنباء العارف دمرداش المحمدي المتوفى سنة 929 مطبعة الأنوار سنة 1364 في 31 صفحة.

19- النكت الطريفة في التحدث عن ردود ابن أبي شيبة على أبي حنيفة مطبعة الأنوار سنة 1365 في 273 صفحة[95].

20- رفع الاشتباه عن مسألتي كشف الرؤوس و لبس النعال في الصلاة طبع سنة 1366 في 24 صفحة.

21- ترجمة العلامة منيب العنتابي المتوفى سنة 1238 مخطوطة[96].

---

[93] يتضمن الكلام الحديث الخرافي القائل بأن حملة العرش أوعال و كانت قامت له ضجة في مصر نحو 12 سنة.

[94] ألفه في ربيع الآخر سنة 1362 بإشارة الشيخ عبدالخالق الشبراوي المتوفى سنة 1366 و ترجم لثلاثة عشر شيخا خلوتيا في 10 صفحات كبيرة و عندي الأصل الذي بخط المؤلف و نسخت له صورة أرسلتها إليه.

[95] ادعى ابن أبي شيبة مخالفة أبي حنيفة لأحاديث صحيحة في 125 مسألة من أمهات المسائل الاجتهادية فقام هذا الكتاب بتمحيص أدلة الطرفين كاشفا عن كثير من الحقائق في تفاوت مدارك الفقهاء و أطوار الفقه الإسلامي مما له خطره عند الباحثين.

22- من عبر التاريخ طبع سنة 1367 في 32 صفحة نشره السيد عزت العطار[97].

23- حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي المتوفى سنة 182 مطبعة الأنوار سنة 1368 في 103 صفحة.

24- لمحات النظر في سيرة الإمام زفر المتوفى سنة 158 مطبعة الأنوار سنة 1368 في 30 صفحة.

25- الإمتاع بسيرة الإمامين الحسن بن زياد المتوفى سنة 204 و صاحبه محمد بن شجاع المتوفى سنة 266 مطبعة الأنوار سنة 1368 في 70 صفحة.

26- الترحيب بنقد التأنيب نشرته مكتبة الخانجي سنة 1369 في 52 صفحة[98].

27- محق التقول في مسألة التوسل مطبعة الأنوار سنة 1369 في 18 صفحة[99].

28- تعطير الأنفاس بذكر سند أركماس طبع ضمن مجموعة سنة 1369 مطبعة الأنوار من ص 9 إلى ص 11[100].

29- الإفصاح عن حكم الإكراه في الطلاق و النكاح طبع ضمن المجموعة السابقة من ص 12 إلى ص 16.

---

[96] ألفها في رمضان سنة 1367 بناء على طلب الفقير.

[97] تضمنت بحث 8 مسائل تاريخية.

[98] رحب فيه بالنقد الذي هدد به مؤلف طليعة التنكيل و قد مر ذكر ذلك.

[99] نفى فيه الشرك المزعوم عمن يتوسلون برسول الله صلى الله عليه و سلم و آل بيته و هو الوسيلة الحقة.

[100] ألفه بناء على طلب الأخ الفاضل الحاج إبراهيم الختني من علماء المدينة المنورة و لم يحتفظ المؤلف بصورة فلما استنسخت صورة من الأصل بالمدينة المنورة نقلت له صورة طبع عليها.

30– الاستبصار في التحدث عن الجبر و الاختيار طبع بمطبعة الأنوار في ذي القعدة سنة 1370، و هو آخر ما نشره من مؤلفاته – رضي الله عنه – و لعله آخرها تأليفا[101].

فجملة مؤلفاته التي أفردها هي (51) مؤلفا كما ذكره[102]. على أن هناك مؤلفات سماها و لكنها طبعت ضمن الكتب التي كانت مؤلفات الأستاذ بمثابة التعاليق و الحواشي لها و أذكر من ذلك:

1– لفت اللحظ إلى ما في الاختلاف في اللفظ و هو مقدمة و تعاليق على كتاب الاختلاف في اللفظ و الرد على الجهمية و المشبهة لابن قتيبة طبعه القدسي بمطبعة السعادة بمصر في 86 صفحة بما في ذلك الفهارس سنة 1349.

2– تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم و هو مقدمة و تعاليق على كتاب السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل للسبكي الكبير. مطبعة السعادة سنة 1356 في 192 صفحة غير الفهارس و التصويبات و كلمة الناشر.

تقدماته و تعاليقه

لأستاذنا الكوثري – رضي الله عنه – تقدمات و تعاليق على كثير من الكتب النافعة و سأكتفي بالكلام على ثلاث منها ثم أسرد الباقي نقلا عن آخر مؤلفاته الاستبصار حيث سردها في آخره:

---

[101] رد فيه على الشيخ مصطفى صبري التوقادي نزيل مصر و الذي كان شيخا للإسلام بالدولة العثمانية.

[102] جاء في ترجمته في أول طبقات ابن سعد ذكر مؤلفين هما:

1– تاريخ مذاهب الفقهاء و انتشارها. 2– تاريخ الفرق و تأثيرها على المجتمع.

و لم يذكرهما المترجم لي و لذا لا أدري أين ألفا و لا أعلم شيئا عنهما.

1– مقدمته الحافلة القيمة على نصب الراية لأحاديث الهداية للحافظ الزيلعي المتوفى سنة 762 طبع بمصر سنة 1357 و تقع من ص 17 إلى ص 49 ثم من ص 57 إلى ص 60 من الجزء الأول و تعتبر تاريخا للفقه و منشأ تطوراته. فقد استهلها بكلمة عن فقه أهل العراق ثم استطرد إلى الرأي و الاجتهاد ثم تكلم عن الاستحسان و انتقل إلى شروط قبول الأخبار ثم استعرض منزلة الكوفة من علوم الاجتهاد و ذكر 33 حبرا من أصحاب علي عليه السلام و ابن مسعود بالكوفة، ثم انتهى إلى طريقة أبي حنيفة في التفقه و ذكر 96 حافظا من كبار المحدثين الأحناف، و انتهى بكلمة في كتب الجرح و التعديل و الواقع أن هذه المقدمة تعتبر دستورا جليلا و مدخلا مضيئا للفقه الإسلامي.

2– مقدمته لكتاب المقدمات الخمس و العشرون .. من دلالة الحائرين لابن ميمون الفيلسوف الإسرائيلي المتوفى سنة 605 طبع مطبعة السعادة بمصر سنة 1369. و مقدمة الأستاذ تقع من ص 3 إلى ص 23 و فيها أبحاث نفيسة خصوصا عن الشخصيات الإسرائيلية في تاريخ الإسلام مع استطرادات مفيدة نافعة.

3– تعليقة قيمة على مادة (الجركس) في تعريب دائرة المعارف الإسلامية و تقع تعليقة الأستاذ في المجلد السادس ص 345 إلى 350 – أراد بها تصحيح ما ورد في الدائرة المذكورة عن الجركس فأجاد و أفاد على عادته. أما باقي تقدماته و تعليقه فقد ذكر في ص 38 من مؤلفه الاستبصار بعد سرد أسماء مؤلفاته ما نصه: و مما قدم له و علق عليه:

1– الغرة المنيفة للسراج الغزنوي الهندي في تحقيق نحو مائة و سبعين مسألة ردا على الطريقة البهائية للفخر الرازي.

2– دفع شبه التشبيه لابن الجوزي.

3- رسالة أبي داود السجستاني في وصف سننه.

4- مناقب أبي حنيفة و أبي يوسف و محمد بن الحسن للذهبي و معها أيضا تعليق الأستاذ أبي الوفاء.

5- ذيول طبقات الحفاظ للحسيني و ابن فهد و السيوطي.

6- تبيين كذب المفتري في الذب عن الإمام الأشعري لابن عساكر.

7- التبصير في الدين و تمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين.

8- العالم و المتعلم رواية أبي مقاتل عن أبي حنيفة.

9- رسالة أبي حنيفة إلى البتي إمام أهل البصرة في الإرجاء.

10- الفقه الأبسط رواية أبي مطيع.

11- الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادي مع ملء الخروم من كلامه و كلام أصحابه.

12- التنبيه و الرد على أهل الأهواء و البدع لأبي الحسين الملطي.

13- اللمعة في الوجود و القدر و أفعال العباد لإبراهيم بن مصطفى الحلبي المذاري.

14- كشف أسرار الباطنية لمحمد بن مالك الحمادي.

15- الروض الزاهر للبدر العيني في سيرة الملك الظاهر (ططر).

16- الانتصار و الترجيح للمذهب الصحيح لسبط ابن الجوزي.

17- شروط الأئمة الستة لمحمد بن طاهر المقدسي و الخمسة للحازمي و التعليقات عليهما مسماة بالتعليقات المهمة على شروط الأئمة.

18- مراتب الإجماع لابن حزم و نقده لابن تيمية.

19- النبذ في أصول المذهب الظاهري لابن حزم.

20- اختلاف الموطآت للدارقطني.

21- كشف المغطى من فضل الموطأ لابن عساكر.

22- العقل و فضله لابن أبي الدنيا.

23- الحدائق في الفلسفة العالية للبطليوسي.

24- حقيقة الإنسان و الروح للجلال الدواني.

25- العقيدة النظامية لإمام الحرمين.

26- الإنصاف فيما يجب اعتقاده و لا يجوز الجهل به للباقلاني.

27- خصائص مسند أحمد لأبي موسى المديني.

28- المصعد الأحمد لابن الجزري.

29- زغل العلم للذهبي.

30- الأسماء و الصفات للبيهقي.

و مما قدم له و كتب فيه كلمة:

1- شرح مقامة (الحور العين) لنشوان الحميري.

2- نثر الدر المكنون في فضائل اليمن الميمون للسيد محمد الأهدل شيخ رواق اليمن.

3- الدر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد للسيد عبدالواسع اليماني.

4- بيان مذهب الباطنية و بطلانه من كتاب قواعد عقائد آل محمد لمحمد بن الحسن الديلمي.

5- طبقات ابن سعد من الطبعة المصرية.

6- فتح الملهم في شرح صحيح مسلم لمولانا العلامة شبير أحمد العثماني – رحمه الله.

7- ترتيب مسند الإمام الشافعي للحافظ محمد عابد السندي.

8- أحكام القرآن جمع البيهقي من نصوص الإمام الشافعي – رضي الله عنه.

9- مناقب الإمام الشافعي للحافظ عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي الشافعي.

10- ذيل الروضتين للحافظ أبي شامة.

11- فهارس البخاري لفضيلة الأستاذ الشيخ رضوان محمد رضوان.

12- إشارات المرام لكمال الدين البياضي.

13– كشف الستر عن فرضية الوتر لعبدالغني النابلسي.

14– العالم و المتعلم لأبي بكر الوراق الترمذي.

15– الأعلام الشرقية للأستاذ زكي مجاهد.

16– انتقاد المغني عن الحفظ و الكتاب للأستاذ حسام الدين القدسي.

17– النهضة الإصلاحية للأسرة الإسلامية للأستاذ الكبير مصطفى الحمامي – رحمه الله.

18– منتهى آمال الخطباء له أيضا.

19– براهين الكتاب و السنة للعلامة العارف بالله الشيخ سلامة العزامي.

20– قانون التأويل لحجة الإسلام الغزالي.

21– الثمرة البهية للصحابة البدرية لمحمد سالم الحفناوي.

22– كتاب بغداد لابن طيفور.

23– الروض النضير في شرح المجموع الفقهي الكبير للسياغي الصنعاني.

قلت: و أزيد على ما مرر ذكره ما يأتي:

1– منية الألمعي فيما فات من تخريج أحاديث الهداية للزيلعي للحافظ ابن قطلوبغا، قدم له و حققه و نشر مذيلا بتعليقت الحافظ قاسم ابن قطلوبغا على النصف الثاني من الدراية مطبعة السعادة بمصر سنة 1369.

2- إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبدالسلام في مسألة الكلام بقلم ولده الشيخ محمد عبداللطيف طبعه الأستاذ من نسخته بمطبعة الأنوار سنة 1370 و صححه و علق بأوله تعليقه.

3- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء علق عليه لغاية ص 88 و الكتاب طبع سنة 1350 في 190 صفحة بما في ذلك مقدمة الناشر و الفهارس.

و هناك أشياء من هذا القبيل أخفى الأستاذ فيها نفسه أذكر منها الآتي:

1- تعليقاته النفيسة على تاريخ القوقاز الذي طبع تعريبه بمطبعة عيسى الحلبي سنة 1940 م. و ذكرت منسوبة إلى عالم جركسي جليل.

2- مذكرات الأمير محمد علي توفيق عربها و طبع التعريب في مطبعة عناني سنة 1366 في 57 صفحة و لم يذكر فيها اسمه.

3- بيان الخطوط الجميلة المحفوظة في المتحف الذي أنشأه الأمير محمد علي في سراي منيل الروضة المطبوع بمطبعة مصر سنة 1370 في 32 صفحة.

4- بعض وثائق تاريخية من عهد ساكني الجنان إسماعيل باشا و توفيق باشا انتقاها و أمر بترجمتها الأمير محمد علي و طبعت بمطبعة عناني سنة 1367 في 93 صفحة غير التصويب و ذكر بأولها أنها ترجمة الأستاذ – رضي الله عنه – و كان الإفصاح باسمه هنا مخالفا لما سبق.

و إني أشكر مزيد الشكر كل من يتفضل فيرشدني إلى ما أكون غفلت عنه من مؤلفاته خاصة و من تقدماته و تعاليقه عامة.

و قد عثر في أوراق المترجم – رضي الله عنه – على رسالة بخطه في **16** صفحة اسمها (المنتقى المفيد) انتقى فيها أشياء من (العقد الفريد في علو الأسانيد) تأليف العلامة سيدي الشيخ أحمد بن سليمان الأروادي المتوفى سنة **1275** فرغ منها المترجم في خامس جمادى الثاني سنة **1354**. و هي مخطوطة بخطه كما ذكر.

كما عثر على نسخة من (حنين المتفجع) طبع قسطموني سنة **1337** و قد مر ذكرها و يأتي ذكر بعض أبياتها في الفصل السابع الخاص بذكر شعره و نثره بمشيئة الله تعالى. و على قدر ما بذلته من جهد لحصر مؤلفات أستاذنا – رضي الله عنه – و تعاليقه و تقدماته فإني أستشعر أن منها ما فاتني مضطرا و قد نبهني السيد حسام الدين القدسي إلى أن الترجمة الموجودة في صدر الجزء الأول من فتاوى السبكي الذي طبعه سنة **1356** و الواقعة في ص **13** – **15** هي من صنع الأستاذ – رضي الله عنه – و لكنه لم يرد أن تذكر باسمه لصغرها و قلة الجهد المبذول فيها و لخلو الكتاب المطبوع من أي مجهود للأستاذ – رضي الله عنه – و من يطالع هذه الترجمة و لا سيما في أواخر ص **14** يستشف منها روح الكوثري و مقدرته و علمه و سعة أفقه، و أخيرا أرجو قبول عذري في ما فاتني و تكرار شكري لمن ينبهني إليه.

مقالاته

للمترجم – رضي الله عنه – مقالات كثيرة في فنون متشعبة و في كل مقالة منها من الدروس ما يفيد جماعة و قد كان ينشر في معظم المجلات التي تتمشى مع نواحي مقالاته على أنه اختص مجلة الإسلام ثم الشرق العربي بمعظم ما نشر، و قد حرص بعض فضلاء تلاميذه على جمع مقالاته و نشرها في مجلد مستقل رأوا أن تكون هذه الترجمة في صدره و الله المستعان، و ختاما أحب أن أسجل أن للمترجم عدة رسائل علمية و هذه لا يسهل جمعها لأنها منتشرة

في بقاع الأرض؛ حيث كان يرسلها ردا على من يسألونه، و لا أدري إذا كان احتفظ بصورها في أوراقه – أما مراسلاته الخاصة معي فمحفوظة بفضل الله و يأتي الكلام عليها في الفصل التالي – إن شاء الله.

و يحسن التنويه بأن للأستاذ ترجمة نفيسة للسيد عزت العطار في صدر تأنيب الخطيب و أخرى للأستاذ السراوي في أول الطبقات الكبرى لابن سعد طبع بمصر و قد كتب لي السيد عزت العطار بأن آخر ما كتبه شيخنا بخطه الكريم من تقدمات للكتب تقدمة كتاب جذوة المقتبس الذي طبعه السيد عزت و نشره.

هذه هي صفحة فخار من سجل حياة مجيدة لرجل عاش يرغب عن دنياه و يرجو من الله أخراه رجل نقاه الله تعالى من الخطايا كما نقى الثوب الأبيض من الدنس، و الله المسئول أن يغسله بالماء و الثلج و البرد و أن يكرم نزله بمنه و فضله.

الفصل السادس

في أمور خاصة بينه و بيني

أكتفي في هذا الفصل بذكر بعض ما قرأته على الأستاذ – رضي الله عنه – مما يكون في بيانه فائدة عامة –كما أشير إلى بعض ما جاء في مراسلاته مما يناسب ذلك.

فمما قرأته عليه –كتاب منار الأنوار في أصول الأحناف لأبي البركات عبدالله بن أحمد النسفي المتوفى سنة 701، نسخة مخطوطة سنة 904 ذيلها بالإجازة بخطه و هي عندي برقم 12 أصول، و هذا بعض ما قاله الأستاذ:

أ– تقسيمات التربيعات التي في أول كتب الأصول من عمل أبي زيد الدبوسي من كبار فقهاء الحنفية و ممن يضرب به المثل توفي ببخارى سنة 430 و من جاءوا بعده تابعوه على تقسيماته لسرورهم بها.

ب– عدم الجمع بين قطع يد السارق و ضمان ما سرقه عند الأحناف أمر لو فطن الذين يشرعون لعلموا أن مسألة قطع اليد التي يجعلونها سببا لتنكبهم الشرع و انكبابهم على القانون الفرنسي ليست جزافا، و إنما هي مع ضماناتها الشرعية لازمة. و قليل بل نادر من لا يفتدي يده برد ما سرق.

ج– عدم ضمان المنافع يخالفه الأستاذ و يرى وجوب دفع إيجار.

د– عند الكلام على القسم الأول من أقسام السنة جملة (و هو ما كان من الآحاد في الأصل ثم انتشر) قال الأستاذ كحديث (إنما الأعمال بالنيات).

هـ– عند ذكر جملة (و عند بعض المتكلمين لا يصح بيان المجمل و المشترك إلا موصولا) قال الأستاذ هذا هذيان و ليس برأي فقهي فلا داعي إلى الوصل.

و– عند جملة (و الاستثناء متى تعقب كلمات معطوفة بعضها على بعض ينصرف إلى جميع كالشرط عند الشافعي رحمه الله. و عندنا إلى ما يليه) قال الأستاذ مثل قوله تعالى في سورة النور: [و أولئك هم الفاسقون * إلا الذين تابوا] (النور: 5) فالاستثناء يزيل الفسق، و لكنه لا يزيل عدم قبول الشهادة عندنا. خلافا للشافعي – رضي الله عنه.

ز– عند الكلام على حديث معاذ – رضي الله عنه – قال الأستاذ إنه يرى صحة حديث معاذ و له في ذلك تعليق على كتاب النبذ لابن حزم الذي طبعه السيد عزت العطار.

ح– عند الكلام على البتيراء قال إنها الركعة الواحدة، و في الحديث أنه نهى عن البتيراء.

و مما قرأته عليه قصيدة البردة المباركة .. ليلة الجمعة 28 من شهر رمضان سنة 1358 ثمان و خمسين و عند الوصول إلى الفصل الأخير قال بأنه يفضل تجلي بالجيم في البيت:

و لن يضيق رسول الله جاهك بي   إذا الكريم تجلى باسم منتقم

و ذلك لأن الانتقام لا يكون حلية و لكنه من تجليات الحق سبحانه و تعالى لإقامة العدل و تنفيذ القصاص، و كتب الإجازة بخطه الشريف و بسند فيه هبة الله البعلي المتوفى سنة 1224، و محدث الشام صالح الجنيني المتوفى سنة 1170، و عبدالغني النابلسي المتوفى سنة 1143، و نجم الدين الغزي المتوفى سنة 1061، و الذي كان يتعسر عليه الطواف عند حجته الخيرة من انكباب الناس عليه لاستجازته – و والده بدر الدين الغزي المتوفى سنة 984، و القاضي زكريا الأنصاري المتوفى سنة 926 و غيرهم، أفيعقل أن هؤلاء العلماء الأعلام كلهم أشركوا من أجل سواد

عيني ابن عبدالوهاب النجدي؟ و هل لأنه لم يفهم روائع المعاني التي في البردة نرمي عقولنا و نسب سلفنا المنصف و نطيع النجدي المتعسف؟! و ماذا في قول البوصيري:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

و أي شرك في هذا البيت المترع باليقين و الإيمان. إن البوصيري يتكلم عن يوم القيامة، و حديث الشفاعة الطويل المتواتر لذي اتفق عليه البخاري و مسلم صريح في أن الناس يموجون يوم القيامة و يترددون على الأنبياء رجاء الشفاعة، و أن كل نبي يقول لست لها. فإذا جاءوا النبي صلى الله عليه و سلم يقول: (أنا لها و يحمد ربه و يسأله ساجدا فيحد له حدا فيخرجهم من النار و يدخلهم الجنة و هكذا عدة مرات حتى لا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود و ينجو كل مؤمن) و البوصيري لم يقل غير ما جاء في الحديث، و جملة (يا أكرم الخلق) فيها إشارة لمن يتدبر إلى الاعتراف بخالق هؤلاء الخلق و كلمة سواك في البيت مرجعها الأنبياء الذين يعتذرون من عدم الشفاعة يومئذ بنص الحديث. و التوجه إلى النبي صلى الله عليه و سلم في قوله تعالى: [و لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجودوا الله توابا رحيما] (النساء: 64) فجعل توبته و رحمته متعلقتين بالتوجه إلى الرسول صلى الله عليه و سلم و استغفاره للمتوجهين فإن قيل: إن ذلك في حياته تمشينا مع القائل و تركنا جانبا حياة النبي صلى الله عليه و سلم في قبره التي نوقن بها، و قلنا للمعترض هل تنكر حياة النبي صلى الله عليه و سلم يوم القيامة و أنه سيكون في وسطنا كما كان بين صحابته يوم نزلت آية سورة النساء – فأين خطأ البوصيري إذا – و مقام النبي صلى الله عليه و سلم الذي يوجب على المسلم أن يسلم عليه بصيغة المخاطب الحاضر في كل جلسة عقب ركعتي الصلاة – و المرء بين يدي الله تعالى – هذا المقام لا يتعرض له بسوء إلا من ضاق عقله أو ضاع عدله.

فالبوصيري مؤمن و رميه بالشرك بلاء يوقع قائليه في مآزق تجعلهم يهتمون بسفساف الكلام و يغفلون عن المصائب التي ستنتهي بتسليم آخر معاقل الإسلام إلى الكفار باسم الاتجار و ما هو إلا نوع من أنواع الاستعمار و الاشتغال بدرء هذا البلاء أولى من المهاترة و الإسفاف. و لكن أين الإنصاف؟!

و مما قرأته عليه أيضا متن القدوري و هو كتاب مبارك تواتر عند الأحناف أنه إذا قرئ على شيخ صالح كان سببا لتيسر الرزق و لما لم أجد أصلح من الأستاذ بمصر و ذلك لأني لم أكن عرفت يومئذ الأخ الصالح السيد محمد إبراهيم أبي العيون شيخ معهد المنيا حالا فقد قرأته عليه سنة 1359 و دعا لي في ختامه و كتب الإجازة بخطه فيسر الله تعالى رزقي تيسيرا لم يكن على بالي من حل مبارك لا شبهة فيه و لا ريبة فلله الحمد و الشكر و المنة.

و الكتب التي قرأتها على الأستاذ كثيرة و كنت أحرص دائما على أن يكتب الإجازة في آخرها بخطه و سردها يطيل الترجمة.

و قد كتب الأستاذ نقدا بخطه لمؤلفي إزالة الشبهات يوجد في آخر الكتاب المذكور.

كما أجازني بعدة إجازات منها ما لم يدخل في ثبته (التحرير الوجيز) و كلها بخطه الجميل المبارك.

و قد كتب بعض فوائد و تصحيحات بخطه على نسخة الفقه الأكبر المنسوخة عن مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة و قد جلدت تصحيحات الأستاذ مع فوائد أرسلها الشيخ عبدالقادر الشلبي الطرابلسي المتوفى سنة 1369 من المدينة المنورة بآخر النسخة المذكورة المحفوظة عندي برقم 75 توحيد.

و من أعز ما أعتز به مجموعة مراسلاتنا و قد بلغ عددها 259 من ذلك 150 صادرة عني و 109 واردة من الأستاذ و يوجد بعض خطابات برقم مكرر لخطاب سابق تعلق المكرر به، و جميع مراسلات الأستاذ جليلة مفيدة، و أكتفي هنا بالكلام على خمسة أشياء هي ضمن ما ورد في خمسة خطابات منها:

ففي الخطاب رقم 17 المؤرخ 26 من رجب سنة 1358 قال: و أما حديث رد الشمس فهو صحيح باعتبار الصناعة و حكمه حكم أخبار الآحاد الصحيحة، و لست ممن يجعل لقدرة الله حدا انتهى، قلت: و الفقير يؤمن به أيضا و يرثى لحضرات الذين يتشككون فيه و في انشقاق القمر لتعارض ذلك مع نواميس الطبيعة لأن الاشتغال بالجاذبية و جعلها مما يعارض قدرة الله يؤدي إلى مذاهب النشوء و الارتقاء و التطور و رد الإنسان إلى قرد و رد القرد إلى سمكة و رد السمكة إلى ما تتسع له عقولهم الفاسدة و علومهم الجاحدة، و الله الذي خلق الكون على ما يشاء و أجرى الكواكب كما يشاء قدير على أن يرد الشمس ثم يعيدها و على أن يشق القمر ثم يعيده دون أن يتأثر شيء من نظام الكون لأن الكون لا يقوم بنفسه و إنما هو قائم بالله الفعال لما يريد.

و في الخطاب رقم 44 المؤرخ 24 من جمادى الآخرة سنة 1361 أن الإنارة في طريق حديث الزيارة لابن حجر هي في حديث (زر غبا) و ليس في زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه و سلم كما ظن الكتاني.

و في الكتاب رقم 141 المؤرخ 7 من ربيع الآخر سنة 1365 أن الكتاب الذي طبعه الشيخ راغب الطباخ الحلبي المتوفى سنة 1370 باسم الإفصاح هو في الحقيقة كتاب (الإشراف على مذهب الأئمة الأشراف) الذي هو قطعة من الإفصاح.

و في الكتاب رقم 202 المؤرخ 15 من ذي الحجة سنة 1367 شرح معنى أرطغرل و أن أر بفتح الهمزة و سكون الراء الذكر و الرجل، و أن طغرل بضم الطاء المهملة و سكون الغين المعجمة و ضم الراء و سكون اللام هو الصقر، و أن كلمة الطغراء مأخوذة من هذا لأنها على رسم صقر مفتوح الجناحين. اهـ. قلت: و هذه فائدة هامة فإن أحد أساتذة الجامعة نشر في هذه السنة سنة 1372 كتاب ذكر فيه نقلا عن أحد الأجانب أن للطغراء قصة طريفة تفسر نشأتها فقد اضطر السلطان مراد الأول العثماني إلى أن يعقد معاهدة مع أحد أعدائه و كتبت المعاهدة و قرئت عليه ثم قدمت له لكي يوقع عليها و لما كان أميا لا يعرف القراءة و لا الكتابة فقد دهن يده اليسرى بالحبر ثم طوى إبهامه و مد أصابعه الثلاثة التالية إلى أعلى و ترك خنصره منفرجا قليلا عنها ثم ضغط بيده على المعاهدة فإذا صورة قريبة من صور الطغراء التي نعرفها قد ظهرت على الورقة و تناول كاتبه هذه الورقة و كتب في داخل الصورة اسم السلطان و اسم أبيه ثم لقب خان و عبارة عز نصره – و الأستاذ الجامعي مشكور في نشر المصدر و معذور في تصديقه الأجانب لأن ثقافتنا الأخيرة تكاد تكون مستمدة منهم و لكنه معذور لعدم رد هذه الفرية الصادرة عن قلب مغيظ من السلطان مراد الذي كان هو و أسلافه و بعض من خلفوه قذى في عين كل أوروبي و هذه العبارة مردودة من أربعة أوجه:

الأول: أنه كان يكفي السلطان التوقيع بأصبع واحد لأن أخذ البصمات لتحقيق الشخصية لم يكن عرف بعد في تلك الأيام.

و الثاني: أن السلطان مسلم و المسلم يعاهد بيده اليمنى لا باليسرى.

و الثالث: أنه كان يمكن للسلطان أن يأمر أحد أتباعه بالتوقيع نيابة عنه دون أن يلوث يده بالمداد كما يفعل صبيان المكاتب.

و الرابع: أن الطغراء معروفة قبل ظهور العثمانيين بنحو مائتي سنة، و كان الذي يكتبها يعرف باسم الطغرائي. و الطغرائي الشاعر المشهور توفي سنة 513، و أول سلطان عثماني و هو عثمان ولي الملك سنة 699. و مراد الأول ولي سنة 761 و بذلك يتبين استحالة القصة نقلا و عقلا كما يتبين أن الطغراء أقدم من العثمانيين و أنها كما قال الأستاذ نسبة إلى الصقر في اللغة التركية قديمة و اختلاط العرب بالأتراك أقدم من ظهور العثمانيين بعدة قرون.

و في الكتاب رقم 223 المؤرخ 24 من شعبان 1369 ذكر أن سودوب بالباء الموحدة في آخره تصحيف متوارث. و أن الصواب سودون بالنون في آخره و معناه (فتى الدون) و الدون نهر معروف في شمالي مروج شمالي القوقاز و الاسم المركب علم جركسي.

و بهذا يتبين أن مراسلات الأستاذ دائرة معارف عامة فيها من كل بحر قطرة و أنه كان كالنحلة تجمع رحيق الزهور المختلفة، ثم تخرجه عسلا حلوا فيه شفاء للناس و كما أن النحلة يؤذيها الزنبور فكذلك لم يسلم الأستاذ من زنابير البشر. و في البشر من هم كالزنابير لا يعلمون شيئا و لا يفيدون أحدا و يعتدون على العاملين النافعين و قد تفضل – رضي الله عنه – فكتب تقريظا نافعا جامعا نقد فيه مؤلفي إزالة الشبهات و هذا التقريظ مطبوع بنصه في آخر مؤلفي المذكور.

و كنت – مع إجلالي التام للأستاذ – أخالفه في أشياء، و كان – رضي الله عنه – لا يغضب من ذلك و لا تبرأ مني لأنه كان يحب أن يعتقد الإنسان ما يقتنع به ما دام الأمر لا يمس أصول الإسلام المعروفة.

و لا بأس بأن أذكر هنا بعض ما خالفت فيه شيخي الجليل – رضي الله عنه – و أرضاه:

فأولا مخالفاتي للمذهب الحنفي و منها:

1– اعتقادي نجاة أبي طالب – رضي الله عنه – و لي في ذلك مؤلف خاص سهل الله تعالى إتمامه.

2– اعتقادي أفضلية سيدنا علي عليه السلام على سيدنا أبي بكر – رضي الله عنه – و لي في ذلك (القول الجلي) و قد سبقني بعض الحنفية إلى ذلك. و حسبك قوله: و يجوز إمامة المفضول مع وجود الفاضل إلى آخر ذلك البحث و ليس هنا مقامه.

3– حرصي على صوم الأيام الستة من شوال متتالية مبتدئة باليوم التالي لعيد الفطر مع أن الراجح في المذهب صومها متفرقة، و دليلي في حرصي أن الحديث ورد بلفظ (من صام رمضان و أتبعه ستا من شوال). و الاتباع مفهومه التوالي لا التفرق – منا أن خيفة توهم أن تظن مما فرض أمر أنزه نفسي عنه. فالعوام قبل الخواص يعلمون أن الله تعالى لم يفرض إلا صوم شهر رمضان.

4– مخالفتي المذاهب الأربعة في الحامل المتوفى عنها زوجها فإنهم يقولون بأقرب الأجلين و المروي عن علي – عليه السلام – و ابن عباس – رضي الله عنهما – أبعد الأجلين و هو الوجه فإن الحامل التي يموت زوجها ظهرا و تلد عصرا يصح لها على الرأي الأول أن تتزوج و لا يزال جثمان زوجها مسجى على سريره لما يدفن بعد. أما على الرأي الثاني فإنها تنتظر أربعة أشهر و عشرا مدة الحداد و هذه أحوط و لا ضرر منه خلافا للرأي الأول لأنه في بعض الحالات قد يتأخر وضع الحمل إلى أبعد من أربعة أشهر و عشرا و من الحتم انتظار الزوجة حتى تضع وقتئذ فلا ضرر عليها أن تنتظر بعد المولد إلى استيفاء أجل الحداد مراعاة لحرمة الزوجية و روابطها المقدسة.

هذه بعض المسائل التي أخالف بها مذهبي و جملتها ثمان مسائل مبسوطة في أول مؤلفي (أبو طالب) أما فيما عداها فأنا حنفي عن عقيدة و بحث ماتريدي عن يقين و فحص، و الحمد لله رب العالمين.

و ثانيا: كان – رضي الله عنه – يقطع بفساد نسب الفاطميين و الذي أراه أن ذلك محتمل كما أن صحة نسبهم محتملة أيضا و الطعن في الأنساب بلاء قديم. و زوال الفاطميين وقت أن كان أعداؤهم العباسيون لا يزالون ملوكا مكن لمن يشاء أن ينشر الطعن و يكتب المحاضر و إلا فكيف نرمي الأمة التي حكمها الفاطميون بالخضوع إلى يهودي زنيم و هي تتكون وقتئذ من مصر و الشام و الحجاز و اليمن و المغرب فذاك ما خالفته فيه.

و أختم هذا الفصل بقولي أنه كان – رضي الله عنه – يرى الإسلام من وجهته الصحيحة و لما سألته أيجب علي العشر بينما أرضي خراجية و لا يجمع بينهما في المذاهب. و الخراج هو الضريبة التي نؤديها للدولة باسم الأموال على الأرض الزراعية و العشر هو ما يجب على الزرع. أجابني بقوله: اعتبر الخراج زكاة و تصدق بالعشر مدخرا إياه عند الله فنحن في وقت قست فيه القلوب، و معاونة الفقير مجلبة للبركة محفظة للرزق. و العاقل يدخر من ماله لما يتوقعه من عسر محتمل مقبل، فكن عاقلا و ادخر ما تكون عند الله تعالى ما تضمن حفظه و مضاعفته و ما تجده في وقت أنت أحوج ما تكون فيه إليه – و هي كلمات طاهرة نقية – صادرة عن نفس مطمئنة تقية.

الفصل السابع

بيان بعض شيوخه و بعض مأثور كلامه من منظوم و منثور

ذكر أستاذنا – رضي الله عنه – شيوخه و شيوخهم و ترجم لهم في ثبته (التحرير الوجيز لما يبتغيه المستجيز)، مطبعة الأنوار سنة 1360 بالقاهرة و أكتفي هنا بنقل ترجمة خمسة من شيوخه مع ترك الاستطرادات و الاقتصار على ترجمة كل شيخ منهم.

فأولهم: والده الشيخ حسن بن علي الكوثري المولود في قوقاسية سنة 1245 و تلقى العلم هناك من الشيخ سليمان الشرلي الأزهري المقرئ المتوفى شهيدا سنة 1277 و الشيخ موسى الصوبوصي المتوفى سنة 1276 و الشيخ موسى الحناشي المتوفى سنة 1300 و الشيخ حسن الصحصحي المتوفى سنة 1295 تلميذ الشيخ شامل المجاهد الجركسي المشهور المتوفى بالمدينة المنورة سنة 1287، ثم هاجر المترجم إلى البلاد العثمانية مع طلبته سنة 1280 و بنى قرية جنوب دوزجة بنحو ثلاثة أميال و تدعى باسمه إلى اليوم و بنى بها أيضا مدرسة كثيرة الغرف لطلبة العلم سنة 1284. و اجتمع فيها الطلبة – فاستمر على تدريسهم إلى أن بنى أشراف مركز دوزجة مدرسة في جنب الجامع الجديد فطلبوه ليدرس بها فانتقل من القرية إلى دوزجة سنة 1303 فاشتغل بتدريس الطلبة بها إلى أن بنى خانقاه جنب المدرسة فانتقل إليه متخليا عن شيءون المدرسة لأنجب تلاميذه – و تفرغ المترجم لإقراء الفقه و الحديث و إرشاد السالكين. و من شيوخ المترجم أيضا الشيخ دولت المتوفى سنة 1284 و الشيخ موسى الأسترخاني المكي المتوفى 1302 صاحب عبدالله الأرزنجاني المكي تلميذ مولانا خالد البغدادي اجتمع به سنة 1287 في موسم الحج و بقي عنده مدة – و من مشايخ المترجم أيضا الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي المولود سنة 1227 و

المتوفى سنة 1311 و هو عمدة المترجم – و كانت للمترجم – رضي الله عنه – يد بيضاء في الفقه و الحديث. و قد أقرأ أمهات الكتب مرات و (راموز الأحاديث) مرات و كان له شغف عظيم بصحيح البخاري، يختمه مطالعة مع شرحي ابن حجر و البدر العيني ثم يعيده و هكذا – و قد تلقى شيخنا من المترجم الفقه و الحديث و غيرهما و أجازه بمروياته عامة و منها دعاء الفرج المبارك المسلسل بقول رواته (كتبته و ها هو في جيبي) – توفي بدوزجة و شيخنا في بلاد الغربة مهاجرا. و ذلك يوم الأربعاء 12 من ربيع الآخر سنة 1345 عن مائة سنة – رضي الله عنه.

و ثانيهم: الشيخ إبراهيم حقي الأكيني –كان آية في الذكاء، و حسن الإلقاء، و لم ير شيخنا مثله في ذلك بين من أدرك من أهل طبقته – و كانت له أياد بيضاء في علوم القراءة. و الأدبي العربي – و كان بارعا في الأصلين، و المنطق و الحكمة و الفقه. تخرج في العلوم على الشيخ أحمد شاكر سنة 1315. و هو عمدته فيها. و قد تخرج عليه نحو مائتي عالم في الطبقة الأولى. و كان شيخنا يلازمه في الطبقة الثانية في عدد لا يقل عن ذلك. إلى أن مرض في شعبان و استمر مريضا حتى موته يوم السبت 27 من شوال سنة 1318 عن 57 سنة. و هو عمدة شيخنا و يمينه في العلوم من صرف و نحو و بلاغة و أدب و فقه و أصول و توحيد و مصطلح و تفسير و حديث و منطق و آداب و حكمة إلى غير ذلك مما كان يدرس في الآستانة وقتئذ – رضي الله عنه.

و ثالثهم: هو الشيخ علي زين العابدين الألصوني المولود سنة 1268 في ألاصونيا حيث تعلم العلوم في بلده. ثم رحل إلى استامبول فحضر درس العلامة رجب الأرناؤطي و لما توفي سنة 1289 انتقل إلى درس الشيخ أحمد شاكر و به تخرج في العلوم و أخذ الحديث عن الشيخ حسن القسطموني. و تلقى برهان الكلنبوي و غيره من المحقق الشهير عبدالكريم النادر الألبصاني سنة 1300 و درس العلوم في جامع الفاتح. و تخرج عنده طبقتان من أهل العلم الأولى نحن مائة عالم و الثانية نحو مائة و أربعين عالما. و كان آية في الورع. حتى إنه بعد أن أتم التدريس في الطبقة

الثانية تخلى عن مرتبه لبيت مال المسلمين مرتئيا أنه لم يعد يستطيع التدريس فلم يبق وجه لصلته من بيت المال فطار هذا الخبر كل مطار. فكثر الزوار. فتوهم متوهمون مؤامرة سياسية في المترددين إليه. فأصابه بعض أذى إلى أن أذاع بين مجيبه ألا يزوروه فامتنع من مقابلة الزوار لهذا العذر إلى الانقلاب الدستوري في الدولة العثمانية سنة 1326. و لما أحيل أمر إصلاح المعاهد الدينية إلى العلامة محمد خالص الشرواني المتوفى سنة 1331 بتعيينه وكيلا للدرس. اختار المترجم في عداد من اختارهم لمجلس الوكالة فقبل بعد إلحاح شديد. و عاد إلى ساحة التوظف بالحكومة. و في سنة 1329، عين وكيلا للدرس. و من نصائحه لشيخنا عندما تخرج عليه (إن الدرهم لا يدخل محلا إلا و يخرج منه الإخلاص). و لما توفي الشيخ إبراهيم الأكيني انتقل إلى الأستاذ بوصية منه إلى الألصوني حيث أكمل عليه العلوم. و نعته بأنه قدوته و مساعده و شيخه و ملاذه – توفي المترجم يوم الجمعة 18 صفر الخير سنة 1336 و دفن بعد ظهر السبت في مقبرة السلطان محمد الفاتح – رضي الله عنهما.

و رابعهم: الشيخ حسن القسطموني المولود في بلدة طاطاي سنة 1240 تخرج في العلوم على العلامة أحمد حازم الصغير النوشهري المتوفى سنة 1281 حفيد أحمد حازم الكبير المتوفى سنة 1160 و أخذ الحديث و التصوف عن الكمشخانوي و هو من أقدم أصحابه. و شارك شيخه في الأخذ عن السيد أحمد بن سليمان الأروادي المتوفى سنة 1275 حينما ورد الآستانة سنة 1226. و أقام بها سنتين يدرس الحديث بآيا صوفيا. كما أخذ المترجم عن الشيخ عبدالفتاح العقري أحد أوصياء مولانا خالد البغدادي دفين صالحية الشام. كان من الموفقين في الإرشاد و نشر الحديث و سمع شيخنا عليه (راموز الأحاديث) و غيره و أجازه سنة 1318 بما حوى ثبت شيخ المترجم و بمروياته عامة. توفي يوم الخميس 23 من صفر 1329. عن 89 سنة و دفن قرب شيخه الكمشخانوي في مقبرة السلطان سليمان – رضي الله عنهم.

و خامسهم: الشيخ يوسف ضياء الدين التكوشي المولود سنة 1245 في تكوش بولاية سلانيك و رحل إلى الآستانة و لازم درس العلامة الحافظ سيد السيروزي. تلميذ محمد أسعد إمام زاده. ثم تخرج في العلوم على المحقق على الفكري بن بهرام الياقووي سنة 1293 تلميذ العلامة سليمان الكريدي المتوفى سنة بالآستانة سنة 1287 و أخذ منه المطول في سنتين. و للمترجم غير ذلك من المشايخ – إلا أن الياقووي هو عمدته. و قد سمع شيخنا من المترجم حديث الرحمة المسلسل بالأولية و كان المترجم شيخا طوالا نير الوجه مهيبا على سيرة السلف الصالح. و من مناقبه أنه كان لا يخاف لومة لائم في بيان الحق و ذلك أن بعض المخذولين من كبار رجال المعارف في حدود سنة 1320 رفع تقريرا عن أن في (رد المحتار) لابن عابدين كلمة ماسة تثير الخواطر و هي قوله في كتاب الأشربة: (من قال لسلطان زماننا عادل فقد كفر).

فصدر الأمر بمصادرة الكتاب فنهض المترجم و معه العلامة محمد فرهاد بن عمر الريزوي المتوفى سنة 1343 عن 88 سنة و كان من الشيوخ الهرمين مثله.و قابلا السلطان عبدالحميد الثاني المتوفى بعد خلعه سنة 1336 – رحمه الله – و قالا له ما خلاصته: إن العبارة المنسوبة إلى الكتاب موجودة تقريبا في كل كتاب فقهي و إن مصادرة الكتاب تدمي قلوب المخلصين، و مثل هذا العرض كان يعد جرأة بالغة في ذلك العهد فأمر السلطان بإعادة الكتب إلى أصحابها و نفي ذلك الموظف الكبير صاحب التقرير إلى إحدى الولايات البعيدة على أن يكون شاويشا خادما بسيطا في البلدية. قلت إن هذه الحسنة من السلطان الذي كان لا راد لأمره وقت ملكه نزولا على حكم عالمين جليلين تغمر في بحرها كثيرا من سيئاته. اهـ. و توفي التكوشي في 29 من صفر 1339، و دفن في مقبرة الفاتح – رضي الله عنهما.

هذه صفحات ناصعة من سير رجال طلقوا الدنيا و رغبوا في الآخرة طمعا فيما عند الله تعالى من عظم الأجر و خالد النعيم، و قد اخترت هؤلاء الخمسة من شيوخ الأستاذ الكثيرين و كلهم كان عظيما يجمع بين العلم و العمل و التقوى و الصلاح، و اقتصرت على هؤلاء عزوفا عن الإطالة. و الله سبحانه و تعالى ينفعنا بهم و بعلومهم التي كان لشيخنا الكوثري فضل إيصالها إلينا.

و للشيخ الكوثري كما ذكرت من قبل نظم و نثر. و طريقته في النثر يعرفها كل من طلب العلم عليه و كثير ما كنت أقرأ مقالا يخفي فيه نفسه فأستشفها من عباراته التي يلتزمها في نثره، و كنت أكتب له بذلك، فكان يعجب في أول الأمر ثم أخذ يسر بعد ذلك – و شعره كما قلت من قبل لا يليق بقدره خلافا لنثره. فشعره دون المتوسط.و لكن نثره يعد من أبلغ و أجود ما كتب في العربية على الرغم من أنه لم يكن عربيا.

فمن مأثور نثره قوله: (اللامذهبية قنطرة اللادينية) و هو قول لو تدبره المنصف لوجده من جوامع الكلم فإن للشيطان تلبيسات و هو يزين للمرء الوقوع في اللمم و لا يزال به حتى يجرئه على ارتكاب الكبائر. و المذاهب الإسلامية كلها توصل إلى السعادة الدنيوية و إلى الجنة في الآخرة فهي أشبه بعدة طرق توصل إلى مدينة فالسالك في أي طريق منها واصل. أما الذي يسير في هذا الطريق حينا ثم يعرج إلى الآخر ثم يحاول تجربة الثالث ثم يسعى إلى سلوك الرابع ينتهي به الأمر إلى التيه في الشعاب و تلتوي عليه المسالك و الطرق فلا يصل أبدا.

و كذلك اللامذهبية مهما تزينها الوساوس و تزيف بريقها الكاذب فإنها تؤدي إلى التهاون فالاستخفاف فالجحود. و ذلك لأن الأئمة المتبوعين – رضوان الله عليهم – التزم كل منهم من قواعد الكتاب و السنة ما فتح الله به عليه و لهم شروطهم في النسخ و درجات الحديث و القياس و الاستحسان و غير ذلك مما يعرفه أهله. فإذا اتبع الإنسان مذهبا فمعنى ذلك أنه رجح أدلته فإذا عرج إلى آخر فمعناه أنه ارتاح إلى براهينه، فإذا انتقل إلى ثالث بدأ الخلط و

الوسواس يعتريه. أما إذا أراد أن يأخذ من كل مذهب ما يوافق هواه، فقد أصبح ممن يحتكمون إلى الهوى، و هوى النفس أعظم أسباب ترديها و إتعاسها. و التشريع لا يكون عن هوى، و من المستحيل أن نكون في خلق السلف الصالح الذين شرعوا، و أنا لا أريد التعرض لعلماء هذا الزمن، و لا أنكر أن منهم الصالح التقي، و العامل النقي، و لكن لا يمكنني و لا يمكن سواي أن يتغافل عن انكباب معظمهم على الدنيا و حرصهم على زخرفها و تعلقهم بأسبابها، فإذا وجد بيننا اليوم من يُضرب ليلي القضاء فيتعذر عزوفا عن مناصب الدنيا، أو من يمشي في المدينة المنورة حافيا حتى لا يطأ بنعليه موضعا وطئه النبي صلى الله عليه و سلم، أو من يجلد لأنه امتنع عن مجاراة الخليفة على ما لا يعتقده في القرآن الكريم، إذا وجد أمثال هؤلاء قبلنا منهم أن يضعوا لنا تشريعا موحدا و مذهبا مفردا، أما و الحال كما نرى في كل بلاد الإسلام فلنعض بالنواجذ على مذاهب السلف الصالح و لا نحاول خلطها و لا مزجها، فكل مذهب منها فيه الغناء و الكفاء لجميع التشريعات العصرية من غربية أو شرقية و يزيد عليها بسمو أصله و طهارة منبعه و استمداده من الله و رسوله و ليتمسك كل منا بمذهبه كما وصل إليه من سلفه الصالح، و لنعلم أن في اختلافهم من التيسير و الألطاف الخفية مما يجعل الجملة الخالدة (اختلافهم رحمة) من روائع الحكم.

و من مأثور قول الأستاذ أيضا (نفي الوجود بعدم الوجدان ليس بجيد)، و هذه حكمة نفيسة؛ لأن المرء قد يتعجل فيقطع بنفي ما لا يجده، و قد يتابعه سواه فيشتهر الخطأ و يكون عليه وزره، أما إذا قطع بما يعلم و توقف فيما يجهل فإن ذلك يكون أولى بالباحث و أعود بالنفع عليه و على غيره.

و من مأثور قوله أيضا (و الفقه صلح لكل زمان و مكان في أيام مجد الإسلام فلا يعقل ألا يصلح لهذا الزمان الذي ظهر فيه للعيان مبلغ الخلل في أنظمة الغرب حتى أصبحت المجتمعات عرضة للانحلال من فساد تلك الأنظمة) و ذلك في مقدمة مؤلفه (الإشفاق) ثم قوله في الصفحة التالية عن مسايرة العابثين بالطلاق بتعبيد طرق لهم (بل هذه

المسايرة تزيد في فتك المرض بهم و توجب اتساع الخرق على الراقع و تزيل حكمة استباحة الأبضاع بكلمة الله سبحانه من حصول البركة في الحرث و النسل بإقامة كلمة بعض المتفيهقين (المجتهدين) الذين ليس لأهوائهم قرار مقام كلمة الله جل جلاله في ذلك و ليس بالأمر الهين الخروج عما يفقهه الأئمة المتبوعون إلى أقوال شذاذ ما صدرت تلك الأقوال منهم إلا غلطا أو إلا آراء رجال متهمين أظناء يسعون في الأرض فسادا إذ زين الشيطان لهم سوء عملهم – و هذه المسايرة هي التي أدت إلى تخلي الفقه عن كثير من أبوابه في المحاكم بأيدي أبنائه الذين عقوه، و ليس ذلك ناشيءا من عدم صلاحية الفقه لكل زمان و مكان بدون تقويض دعائمه أو قص خوافيه مع قوادمه) اهـ.

و من مأثور نظمه قوله ضمن قصيدته (حنين المتفجع و أنين المتوجع) التي طبعها في قسطموني في 12 من صفر سنة 1337 أي بعد أسبوع من الهدنة التي أنهت الحرب العالمية الأولى و عدة القصيدة 55 بيتا. و فيها يقول:

أرض مقدسة عنا قد انتزعت — آياتها انتبذت فالعيش مملول

أعلامها انتكست صلبانها ارتفعت — تتلى بها اليوم توراة و إنجيل

بلا (صلاح) فهل ترجى استعادتها — و ما الصلاح لنا في الكون مأمول

و في البيت الثالث تورية بين الصلاح و الفساد – و بين اسم السلطان صلاح الدين المتوفى سنة 589 و مستعيد القدس من الصليبيين في رجب سنة 583 و ليت شعري ماذا عسى شيخنا قائله و قد أصبحت الأرض المقدسة حكرا لليهود. بعد أن طردوا منها العرب و باقي سكانها من مسلمين و نصارى؟! و لله الأمر من قبل و من بعد.

و قوله في مطلع قصيدته التي سماها (النظم العتيد لتوسل المريد برجال الطريقة النقشبندية الخالدية الضيائية):

حمدا لمن أبدع الأكوان من عدم	هو الغفور لعبد عاد بالندم
ثم الصلاة على مهدي طرائقنا	محمد شمس رشد ضاء في الظلم
كذا على الآل و الأصحاب قاطبة	هم النجوم فنستهدي بهديهم
يا رب سهل صعابيب السلوك لنا	و جد بفيض و وصل غير منفصم
بجاه أحمدنا الهادي الشفيع غدا	و ذا وسيلتنا في الحل و الحرم

و أختم هذا الفصل بقولي: إن أستاذنا – رضي الله عنه – بلغ قدره في بقاع الإسلام مبلغا جليلا فكان العلماء ينقلون عنه – في مصنفاتهم كما فعل مولانا ظفر أحمد التهانوي[103] في كتابه (إعلاء السنن). حيث قال في ص 516 من الجزء الحادي عشر طبع الهند سنة 1357 ما نصه: (و بعد فلما كان وقوع الطلاق في الحيض و وقوع الطلقات الثلاث بلفظ واحد مما قد كثر فيه الشغب، و اعتنى بالبحث عنه كثير من أهل العلم أصحاب المعالي و الرتب، و كان من أحسن ما صنف في الباب كتاب (الإشفاق على أحكام الطلاق) للعلامة محمد زاهد الكوثري المصري – أطال الله بقاءه و متع المسلمين ببركات أنفاسه القدسية – أحببت أن أذكر هنا ما ذكره مما لم أذكره في الإعلاء و لا الحبيب في الإنقاذ) – و لخص بعد ذلك أكثر مباحث كتاب الإشفاق و نقل منه عشرات الصفحات – و قوله المصري هو على اصطلاح المحدثين في ذكر آخر موطن للمترجم كأن يقال عن ابن منظور الإفريقي ثم المصري – و قد سبق أن الأستاذ الكوثري جركسي الأصل أناضولي المولد استامبولي النشأة مصري المهجر و الوفاة – و قوله في

---

[103] هو تلميذ حكيم الأمة محمد أشرف على التهانوي المتوفى سنة 1362 عن مائة سنة و عن خمسمائة كتاب مطبوع و خمسمائة محاضرة مطبوعة و هو الذي أمر تلميذه المذكور و هو ابن أخته أيضا بتلخيص كتاب الإشفاق كما أخبرني السيد حسام الدين القدسي.

آخر كلامه و لا الحبيب في الإنقاذ يقصد حبيب أحد الكيرانوي مؤلف (الإنقاذ من الشبهات في إنقاذ المكروه من الطلقات) ضمنه صاحب (إعلاء السنن) في مؤلفه الجزء الحادي عشر المذكور آنفا[104].

و الآن و قد فرغت من سرد سيرة رجل طلب العلم لله و عمل في دنياه ما يسعده في أخراه و كان مثالا يحتذى في إخلاصه و تقواه. و إماما يقتدى في دينه و هداه – لا يسعني قبل أن أترك القلم إلا سؤال الله سبحانه و تعالى له الرحمة و الرضوان و فسيح الفردوس و أعلى الجنان، و أن يجزيه عن علمه و صبره و جهاده و هجرته خيرا، و ان يجزل لنا في فقده ثوابا و يعظم لنا أجرا، و أن يوافقنا لترسم خطواته و الانتفاع بنفحاته و الإفادة من مؤلفاته، و أن يفيض علينا من بركاته. بجاه النبي صلى الله عليه و سلم وسيلة كل مؤمن في الدنيا. و شفيعه في الآخرة و إمامه إلى الجنة. و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و الحمد لله رب العالمين.

[104] و أخبرني السيد حسام الدين القدسي أن شبير أحمد العثماني المتوفى سنة 1369 وضع جل ما في الإشفاق في مؤلفه (فتح الملهم في شرح مسلم) في باب الطلاق.

الفصل الثامن

تلامذته مرتبة أسماء من تعيهم الذاكرة منهم على حروف المعجم

أرى قبل سرد بعض الأسماء التي أعرفها الإشارة إلى أن الأستاذ – رضي الله عنه – درس في الآستانة و في غيرها مدة طويلة و أنه كان لا يشاركه أو يقاربه أحد من أهل طبقته في عدد التلاميذ الذين كانوا يحضرون حلقات دروسه حيث بلغوا المئات، و إني أشكر كل من يتفضل منهم فيكتب لي بأسماء من يعرف من زملائه في الحضور على الأستاذ و عنواني (روضة خيري باشا دسونس بحيرة القطر المصري) فلعلي أستطيع سرد أكبر عدد منهم في طبعة مقبلة إن شاء الله تعالى.

هذا فيما يتعلق بتلامذته الذين حضروا عليه قبل هجرته.

أما الذين استجازوه فهم يبلغون المئات أيضا و ذلك لأن ثبته (التحرير الوجيز) طبع منه 300 نسخة – و لم يبق منها نسخة واحدة تحت يده – بل كان ينوي إعادة طبعه قبيل موته لكثرة من كانوا يستجيزونه، و يلاحظ أنه كتب إجازات كثيرة قبل طبع ثبته المذكور. و قد أجازني بأكثر من إجازة بخطه. كما أن الأستاذ أمين سراج نسخ لنفسه بخط يده إجازة وقع له الأستاذ عليها كما أفاد السيد حسام الدين القدسي. فمن ذلك يتبين أن المستجيزين زادوا على ثلاثمائة، و أظن أن آخر إجازة بثبته حررها للأستاذ فؤاد السيد عمارة بدار الكتب المصرية و قد أرانيها و تاريخها في شهر رمضان سنة 1371. أي قبل وفاة الأستاذ – رضي الله عنه – بشهرين.

أما تلامذته بعد هجرته فإن عددهم قليل و ذلك؛ لأن الأستاذ اشتغل بعد الهجرة بالمطالعة و التعليق و التأليف و لم يتعرض للتدريس العام؛ و لكنه كان لا يمتنع عن تدريس من يلجأ إليه كما حدث مع الفقير مؤلف هذه الرسالة و مع سواه من الإخوان.

و أنا إذ أكتب أسماء بعض التلاميذ الذين تيسر لي إحصاؤهم أتبع كل اسم ببيان موضع تلمذته، و اسم من أخبرني به إلا إذا كان ذلك معروفا لدي بمشاهدتي، و هذه هي الأسماء:

1- حاجي جمال الألاصوني واعظ في اصطنبول في جامع السلطان بايزيد و هو من تلامذة الأستاذ قبل هجرته، كما أفاد القدسي.

2- السيد حسام الدين القدسي صاحب مكتبة القدسي بمصر و ناشر (الضوء اللامع) في 12 جزءا و (مجمع الزوائد) في عشر أجزاء و (شذرات الذهب) في 8 أجزاء عرفه الأستاذ في رحلته إلى الشام بعد هجرته، و تتلمذ عليه و أفاد منه، و نشر بإشارته كثيرا من الكتب النافعة، و قد اهتم بعد موت الأستاذ للقيام بجمع مقالاته و المشاركة في نشرها و هو الذي جمع لي بعض أسماء تلامذته.

3- الشيخ حسين بن إسماعيل أطاي بكلية الشريعة ببغداد تتلمذ للأستاذ بعد هجرته، كما أفاد القدسي.

4- البرنس حسين خير الدين ابن بنت السلطان عبدالعزيز العثماني المتوفى سنة 1293 –كان من تلامذة الأستاذ قبل هجرته – و رأيته بمصر بمنزل الأستاذ يقرأ عليه (دلائل الخيرات) ليستجيزه بها حرصا على دوام الصلة العلمية بينهما فيكون ممن جمع بين الحسنيين، و قد جمع أيضا بين حسن الخلق (بفتح الخاء) و حسن الخلق (بضم الخاء) و عليه سمت العلماء و زيهم – و هيبة الأمراء و وقارهم و خطه من أجمل ما رأيت.

5– الشيخ عبدالفتاح أبو غدة كان يطلب العلم بالأزهر و اشتغل بعد تخرجه بالتدريس في بلدته حلب، رأيته أكثر من مره بمصر يسأل الأستاذ و يستمليه و يكتب عنه – و بلغ من شدة تعلقه به أن نسب نفسه إليه فهو الشيخ عبدالفتاح أبو غدة الحنفي الكوثري و هو من تلامذته بعد هجرته.

6– الشيخ عبدالله بن عثمان الحمصي الجركسي الأصل – و هو الذي لازم الأستاذ في أواخر أيامه حتى موته، و من المهتمين لجمع و نشر مقالاته، و كان الأستاذ يزوره في غرفته بمدرسة محمد بك أبي الذهب في ميدان الأزهر – و هو من تلامذته بعد هجرته.

7– السيد عزت العطار الحسيني ناشر الكتب النافعة، كان يقرأ على الأستاذ تجارب ما ينشره و نشر له من مؤلفاته (تأنيب الخطيب)، و هو من تلامذته بعد هجرته.

8– الشيخ علي آق صوي الواعظ في أزمير من تلامذة الأستاذ قبل هجرته كما أفاده القدسي و زاد بأنه كان رئيس الوعاظ ثم صار مفتيا بأندرمة بقرب اصطنبول.

9– الشيخ محمد إبراهيم الختني ثم المدني الشهير باسم الحاج إبراهيم الختني و هو الذي ألف الأستاذ من أجله رسالته في ابن أركماس كما مر في ص 42. حضر مصر في أواخر أيام الأستاذ و اجتمع به، و كان ممن صلوا عليه و شيعوه، كان شديد التعلق بالأستاذ و تتلمذ له بالمكاتبة و هو في المدينة المنورة – ثم أراد الله له أن يلقاه قبل موته فلقيه بمصر كما سلف القول.

10– الشيخ محمد إحسان بن عبدالعزيز من أقدم تلامذة الأستاذ بعد هجرته كما أفاده القدسي، و هو الآن مدرس اللغة التركية في جامعة إبراهيم بالقاهرة و شيخ تكية السلطان محمود في درب الجماميز و معرب كتاب (العاهل العثماني أبو الفتح السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية و حياته العدلية) الذي طبع بمصر سنة 1372.

11– محمد سراج أمين بن مصطفى في كلية الشريعة بالأزهر الشريف بمصر تركي الأصل و هو من تلامذة الأستاذ بعد هجرته، و أجازه الأستاذ كما أفاد القدسي.

12– الأستاذ محمد رشاد عبدالمطلب بالإدارة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية رأيته أكثر من مرة بمنزل الأستاذ يتلقى منه و يستفيد – و هو من تلامذته بعد هجرته.

13– الشيخ مصطفى عاصم كان بمصر و أجازه الأستاذ كما أفاده القدسي.

فهؤلاء هم تلامذة الأستاذ الذين وعتهم الذاكرة أو أرشدت إليهم – و لم أذكر اسمي في هذا السجل لأني كرهت أن أتقدم عليهم بحكم حروف المعجم – و قد سبق في هذا المؤلف – أكثر من مرة – أني تتلمذت للإمام الكوثري رضي الله عنه بعد هجرته و أفدت منه كثيرا لمدة سنوات طويلة.

على أن الكوثري كانت له رسالة نبيلة في الحياة، هي أبقى أثرا و أدوم خلودا من تلامذته، و قد بينها في مؤلفاته، و سيتبين للناس يوما ما، أن الرجل كان من المجاهدين الصادقين في صمت و إخلاص و يقين. و أنه كان ينشر العلم لوجه الله، و يدافع عن الدين ابتغاء مرضاة الله.

و إذا كانت الظروف جعلت شهرة الرجل، على انتشارها في حياته، أقل من حقيقته و فضله و دون خلقه و علمه و نبله، إلا أن الأيام كفيلة بإصلاح هذا، و سيأتي يوم إن شاء الله تعالى يعرف فيه الناس جميعا من هو الكوثري، و ما

هي مؤلفاته القيمة النافعة، المباركة الناجعة.فإن عرف العتر يضوع و لا يضيع، و أريج أرند مهما حصرته فإنه ينتشر و يشيع، و شذا الورد لم يخلق ليحبس و إنما لينم و يذيع.

و إذا أنكر مزكوم نفح العطور، و طيب المسك و العبير، و حاول تجاهل ذلك. فإن الزكام سيزول يوما ما و يبقى للطيب أثره الخالد و عبقه التالد.

و الآن و قد تم ما التزمته في مقدمة هذا الكتاب. أرى من المناسب ذكر سند الإمام الكوثري في الفقه إلى إمام المذهب رضي الله عنهما. ثم إلى إمام الأئمة صلى الله عليه و سلم. لينتفع به من يتعسر عليه الحصول على نسخة من (التحرير الوجيز).

كما أني رأيت أن أتبع هذا السند قصيدة نظمتها يوم الخميس 19 من ذي القعدة سنة 1372 بمناسبة مرور سنة على انتقال الأستاذ رضي الله عنه إلى رحمة الله تعالى و غفرانه و جواره و جناته و رضوانه.

(سند الإمام الكوثري)

في الفقه – إلى إمام المذهب أبي حنيفة النعمان ثم إلى إمام الأئمة و سيد سادات هذه الأمة صلى الله عليه و سلم

تفقه مولانا الكوثري المتوفى بمصر سنة 1371 على والده و على الأستاذين الحافظ إبراهيم حقي الأكيني و على زين العابدين الألصوني كما سلف القول:–

فالأول – المتوفى سنة 1345 كما مر – عن الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي المتوفى سنة 1311 عن السيد أحمد بن سليمان الأروادي المتوفى سنة 1275 عن العلامة محمد أمين الشهير بابن عابدين المتوفى سنة 1252 و سنده مشهور في ثبته المطبوع و بهذ السند ساق المترجم إجازته لي بالقدوري – و قد سلفت الإشارة إليها – و فيه هبة الله البعلي المتوفى سنة 1224 و صالح بن إبراهيم الجينيني المتوفى سنة 1170 غيرهما من عيون المذهب الحنفي – رضي الله عنهم – و أرضاهم.

و الأخيران أي الألصوني المتوفى سنة 1336 و الأكيني المتوفى سنة 1318 أخذا على الحافظ أحمد شاكر المتوفى سنة 1315 عن الحافظ محمد غالب المتوفى سنة 1286 عن سليمان بن الحسن الكريدي المتوفى سنة 1268 عن إبراهيم بن محمد الإسبيري المتوفى سنة 1255 عن علي الفكري بن محمد صالح الأخسخوي المتوفى سنة 1236 عن محمد منيب العينتابي المتوفى سنة 1238 عن إسماعيل بن محمد القونوي المتوفى سنة 1195 عن عبدالكريم القونوي الآمدي المتوفى سنة 1150 عن محمد اليماني الأزهري المتوفى 1135 عن عبدالحي الشرنبلالي عن أبي الإخلاص الحسن الشرنبلالي المتوفى سنة 1069 عن عبدالله بن محمد النحريري و شمس الدين

محمد المحبي القاهري المتوفى سنة 1041 كلاهما عن المقدسي المتوفى سنة 1004 عن أحمد بن يونس الشلبي المتوفى سنة 947 عن عبدالبر بن الشحنة المتوفى سنة 921 عن الإمام كمال الدين بن الهمام المتوفى سنة 861 عن سراج الدين عمر بن علي قارئ (الهداية) المتوفى سنة 829 عن علاء الدين السيرامي المتوفى سنة 790 عن جلال الدين الكرلاني شارح الهداية عن عبدالعيز البخاري صاحب (كشف الأسرار) المتوفى سنة 730 عن حافظ الدين عبدالله بن أحمد النسفي المتوفى سنة 701 صاحب (الكنز) عن شمس الأئمة محمد بن عبدالستار الكردري – ح – و أخذ قارئ (الهداية) أيضا عن أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي صاحب (العناية) المتوفى سنة 796 عن قوام الدين محمد الكاكي صاحب (معراج الدراية) المتوفى سنة 749 عن الحسين السغناقي صاحب (النهاية) المتوفى سنة 711 عن حافظ الدين الكبير محمد بن محمد بن نصر البخاري المتوفى سنة 693 عن محمد بن عبدالستار الكردري المتوفى سنة 642 عن صاحب (الهداية) علي بن أبي بكر المرغيناني المتوفى سنة 593 عن النجم أبي حفص عمر النسفي المتوفى سنة 537 عن الأخوين البزدويين فخر الإسلام و صدر الإسلام – فالأول المتوفى سنة 482 أخذ عن شمس الأئمة السرخسي المتوفى سنة 483 شارح (السير الكبير) و صاحب (المبسوط) المطبوع في ثلاثين جزءا عن شمس الأئمة الحلواني المتوفى سنة 448 عن الحسين بن خضر النسفي المتوفى سنة 424 عن محمد بن الفضل البخاري المتوفى سنة 381 عن عبدالله بن محمد الحارثي المتوفى سنة 340 عن محمد بن أحمد بن حفص المتوفى سنة 264 عن أبيه أبي حفص الكبير المتوفى سنة 217 كما في تاريخ بخارى للنرشخي عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني الصاحب المتوفى سنة 189.

و أخذ صدر الإسلام المتوفى سنة 493 عن إسماعيل بن عبدالصادق عن عبدالكريم البزدوي المتوفى سنة 390 عن إمام الهدى أبي منصور الماتريدي المتوفى سنة 333 عن أبي بكر أحمد الجوزجاني عن أبي سليمان موسى بن

سليمان الجوزجاني عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني الصاحب المتوفى سنة 189 عن إمام المذهب أبي حنيفة النعمان المتوفى سنة 150 عن حماد بن أبي سليمان المتوفى سنة 120 عن إبراهيم بن يزيد النخعي المتوفى سنة 95 عن علقمة بن قيس المتوفى سنة 62 و الأسود بن يزيد المتوفى سنة 75 أبي عبدالرحمن بن حبيب السلمي القارئ المقرئ المتوفى سنة 74 و قيل 73 – فالأولان عن عبدالله بن مسعود المتوفى سنة 32 رضي الله عنه – و السلمي عن سيدنا علي عليه السلام المستشهد بالكوفة في شهر رمضان سنة 40 – و سيدنا علي و ابن مسعود عن خاتم النبيين و قائد الغر المحجلين سيد الأولين و الآخرين عن ملائكة و جن و إنس و أنبياء و مرسلين المنتقل إلى الرفيق الأعلى ضحى يوم الإثنين 13 من شهر ربيع الأول سنة 11 إحدى عشرة صلى الله عليه و سلم و شرف و كرم و بارك عليه و على آله الطيبين الطاهرين و صحبه الأصفياء المتقين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين اهـ.

ذكرى مرور عام على وفاة فقيد الإسلام الكوثري بمصر يوم الأحد 19 من ذي القعدة سنة 1371 رضي الله عنه

1- مضى عام مذ عاد التقى مودعا — و خلى فراغا خلفه لا نطيقه

2- فراغا تجلى في فراق ترددت — له زفرات القلب حين يذوقه

3- فأدمع آماقا و أجزع أنفسا — و أحرق أكبادا و كيف حريقه[105]

4- و أعقبنا بعد التأنس وحشة — و حل محل الرأس في العلم سوقه[106]

5- و غاب عن الدنيا بغيبة زاهد — حديث و توحيد و فقه عريقه[107]

6- فقد كان مرساة إذا غلب الهوى — و طف على موج الفساد غريقه[108]

7- و كنا إذا هبت زعازع فتنة — و لاحت بتجسيم الغوى بروقه[109]

8- فزعنا إلى الأستاذ نرجو بيانه — ليذهب زور القول عنا حقيقه

9- فمن يرتجى للدين يحرس دره — و يحميه من زيف تناهي بريقه

10- و يمنع عنه ملحدا و مشبها — و يرتق منه ما تشت فتوقه[110]

11- و يعصم بالبرهان رأي أئمة — و يقصم شريرا تفشى مروقه[111]

---

[105] أدمع إناءه: ملأه حتى يفيض – و الآماق جمع مؤق العين. طرفها مما يلي الأنف.

[106] السوق هنا جمع ساق القدم.

[107] العريق: الأصل العتيق.

[108] طف: ارتفع و أشرف.

[109] التجسيم دعوى المجسمة الذين يقولون إن الله تعالى جسم له حد و نهاية.

[110] المشبه من يشبه الله تعالى بغيره – و الرفق: إلحام الفتق و إصلاحه – و تشت: تتفرق – و الفتوق: جمع فتق.

12- و يقصي عن الدين الحنيف عصابة	**يرفرف طير الشؤم فيما تسوقه**
13- تراهم و قد عجوا بمين كضفدع	**تضاءل في ضحل و زاد نقيقه[112]**
14- سلام على الدنيا فقد زال زاهد	**و غيب بدر لا يرجى شروقه**
15- و نام شيوخ الدين عن بيضة الهدى	**و قامت أساليب النفاق و سوقه**
16- فيا رب أرشدنا و أشياخ ديننا	**ليبعد عنا فاجر و فسوقه**
17- و يا رب أكرمنا بحرمة سيد	**له الجاه إن جاء المخيف يعوقه**
18- أضاءت به شرق العقيق مدينة	**إليها صبا قلبي و حنت عروقه**
19- شفاعته حرز إذا نال لي بها	**نزلت بفردوس يجل خلوقه[113]**

تمت

---

[111] المراد بالشرير ابن تيمية الذي يقول إن زيارة النبي صلى الله عليه و سلم سفر معصية لا تقصر في الصلاة، وكان الأستاذ رضي الله عنها حربا على ابن تيمية و على سواه ممن حادوا عن جادة الدين.

[112] عجوا: رفعوا أصواتهم – و المين: بفتح الميم بعدها ياء ساكنة: الكذب – و الضحل: الماء الرقيق ليس له عمق على وجه الأرض – و المراد أولئك الذين يكفروننا إذا قلنا يا رسول الله ثم هم يجسمون و يشبهون و يحاولون نشر ترهات ابن تيمية و إحلالها محل فقه علماء الإسلام و مذاهبهم المتبوعة.

[113] نال له بالعطية أعطاه إياها – و الخلوق بفتح الخاء المعجمة: ضرب من الطيب.